

المسحاة

مجلة

المجلد الرابع والعشرون
الجزء الرابع

(١)

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر



إهداء من

الجديد

تابعوا ...

ظهرت

NEW & EXCLUSIVE

﴿ الجزء الرابع ﴾ ٤٢١ ﴿ المجلد الرابع والعشرون ﴾

بُورِي الْحَاكِمَةِ تَمَهَّ نِسَاؤُ
وَمَنْ بُوَّتِ الْحَاكِمَةُ فَقَدْ
أُوقِيَ خَيْرٌ كَثِيرًا وَمَا
يُبَكِّرُ إِلَّا أَوْلَادُ الْبَابِ

الْمَلِكِ

فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ
الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنًا
أُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أَهْلُ الْإِثْمِ
وَأُولَئِكَ هُمْ أَوْلَادُ الْبَابِ

قال عليه الصلاة والسلام ان للاسلام ضري « وضاراً » كضار الطيرين

٢٩ شعبان ١٣٤١ - ٢٥ المحل (١) سنة ١٣٠١ هـ ش ١٦ ابريل ١٩٢٣

الخلافة الإسلامية

٥

٣٣ - كراهة غير المسلمين لحكومة الخلافة

قد يقول قائل : ان غير المسلمين في البلاد التي توصف بالاسلامية (نسبة الى السواد الاعظم من أهلها) يكرهون أن تؤسس حكومة الخلافة فيها ولا سيما النصارى الذين يرون أن ضعف النفوذ والتشريع والآداب والتقاليد الاسلامية في كل بلد اسلامي انما يكون بقوة نفوذ الافرنج وتشريعهم وآدابهم وتقاليدهم - وكذا لغاتهم - وبذلك تكون مقومات الامة ومشخصاتها أقرب الى النصرانية منها الى الاسلام ومن لم يؤمن بالعتيدة النصرانية والوصايا الانجيلية بحجة الاعداء وكراهة الغنى وادارة الخد الايسر لمن يضربه على خده الايمن فانه قد يكون أشد استمساكا بالنصرانية الاجتماعية السياسية من أقوى المؤمنين بالانجيل ايماناً . فتلك النصرانية المزورة التي تنسب اليها المدنية المادية الاوربية هي مشار التمسب والكراهة لكل ما هو اسلامي لانصرانية الانجيل الزاهدة المتواضعة الخاشعة ذات الايثار الذي يسمونه « انكار الذات »

واذا كان أمثالهم من متفرنجة المسلمين يكرهون الحكومة الدينية ويمارضون في احياء منصب الخلافة أفلا يكون متفرنجة النصارى أولى؟ واذا كان الامر كذلك فكيف نعود الى تجديد حكومة دينية يكرهها كثير من رعاياها وينفرون منها؟ الجواب عن هذا يحتاج الى تفصيل نكتفي بالضرورة منه فنقول : اذا صح ما يعزى الى من ذكر من أهل الوطن بمقتضى العاطفة وتأثير التربية، فان من يحص الحقيقة وينظر اليها بهين المصلحة سواء كان منهم أو من غيرهم فانهم يحكمون فيها حكماً آخر

ان حكومة الخلافة اسلامية مدنية قائمة على أساس العدل والمساواة الا أن لغير المسلمين فيها من الحرية الشخصية ما ليس للمرتد والمنافق من المسلمين ، فهؤلاء يريدون أن يكون الاسلام رابطة جنسية أدبية حرة بحيث يكون لهم في حكومته جميع حقوق المسلمين الشرعية والعرفية والقانونية وان

(المنار: ج ٢٤ م ٤٤) (٣٣) (المجلد الرابع والعشرون)

٢٥٨ مناققو المسلمين أعدى للشريعة من غير المسلمين المنار: ج ٤، م ٢٤

صرحوا بأنهم لا يدينون الله بالإيمان بعبودته، ولا بإقامة أركانها وشعائره، وهم يعلّمون أن الحكومة الإسلامية لا تعطّهم شيئاً من ذلك، حتى أن المرأة إذا علمت من زوجها أنه ارتد عن الإسلام حرم عليها أن تقيم معه وتستمر على عصمته، وأحكام المرتدين معروفة فأصرهم أغاظ من أمر الوثنيين دع الكتائبين الذين تحمل ذبايحهم والزوج بالمحصنات من نساءهم، ولا تعاقب الحكومة الإسلامية غير المسلمين على شيء يحل لهم في دينهم - وإن لم يكن حلالاً في الإسلام - إلا ما فيه إيذاء لغيرهم، بل لا يحاسبهم على شيء من أعمالهم الشخصية التي لا تضر المسلمين ولا غيرهم من رعيّتها وإن خالفت دينهم، ولكنها تحاسب المسلمين وتعاقبهم على المعاصي بالحدود وأنواع التعزير كالتوبيخ والحبس، وذلك أن من أصول الإسلام حفظ الآداب والفضائل ومنه الفواحش والمنكرات. وقد وصف الله المسلمين بقوله (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) وقال فيهم (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر) وأحكام الردة والحسبة في الإسلام معروفة

فعلم بهذا أن ملاحدة المسلمين وفساقهم المستهترين اجدر أن يكونوا أشد كراهة لإقامة أحكام الشريعة من غير المسلمين لأنها تكلفهم ما لا تكلف غيرهم وتؤاخذهم بما لا تؤاخذ به. وقد اقترح بعض هؤلاء الملاحدة على جماعة المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق أن يقرروا جعل الحكومة السورية غير دينية، ولا أذكر أن أحداً من الأعضاء النصاري وافق على الاقتراح بل صرح بعضهم برده كأكثر المسلمين. واقترح في ذلك المؤتمر أن تقيّد مادة الحرية الشخصية من القانون الأساسي بقيد عدم الإخلال بالآداب العامة فرد هذا الاقتراح بعض هؤلاء الموصوفين بالمسلمين وصرح بعضهم بتعميل الرد بأنه يترتب عليه أن يجوز للشرطة منم الرجل من الجلوس مع امرأة في ملهى من الملاهي أو مقهى من المقاهي العامة لمعاينة الخمر (؟؟) وقد كان رد هذا الاقتراح أقبح خزي صدر من ذلك المؤتمر وإن علل الرد بعضهم بالاستغناء عن قيد الآداب العامة بقيد القوانين التي يمكن أن ينص فيها على ذلك القيد، وخدع بعض أهل الدين والأدب بذلك وما كان ينبغي لهم أن يندعوا، بل أقول إن أكثر النصاري من أعضاء ذلك

المنار: ٤ م ٤٢ كون الشريعة خيراً لغير المسلمين من القانون ٢٥٩

المؤتمر كانوا أقرب الى المسلمين المستمسكين بأحكام الاسلام منهم الى المتفلتين من الدين ، وان كانوا يتقربون اليهم وينتصرون لهم فيما يوافق أهواءهم من مخالفة هداية الدين العامة

وقد ثبت بالتجارب أن غير المتدينين اذا اختلفوا لاسباب سياسية أو غيرها فانهم يكونون أشد عداوة وقسوة بعضهم على بعض من المتدينين بالفعل من الفريقين — فالمتدين وان شذ يكون أقرب الى الرحمة من المادي — واعتبر ذلك بما وقع من القسوة في هذه الحرب البلقانية العامة بين الاوربيين أنفسهم وبين من غلبت عليهم تربيتهم من الارمن والروم والترك

وأضرب مثلاً آخر الدكتور برتكالوس الرومي قال لجماعة من السوريين كانوا يظهرون الابتهاج والسرور بالدستور العثماني عقب اعلانه : ان حكم الشريعة الاسلامية خير لنا معشر النصاري من حكم الدستور الذي يسلبنا كثيراً مما أعطتنا الشريعة من الامتيازات ، وبحملنا ما أعفتنا من التكاليف . وأيد كلامه اشتداد العداء بين الترك وبين الروم والارمن وغيرها بعد الدستور الذي ترتب عليه سلب هؤلاء كثيراً مما كان لهم منذ كان الحكم بالشرع وحده

واني أعقب على هذا القول بأن أشد ما يتبرم به متفرنجة الترك من أحكام الشريعة هو ما أعطته من الحرية الواسعة لغير المسلمين في بلاد الاسلام ، ورون انه لولاها لصارت هذه البلاد ملة واحدة كبلاد أوربة التي لم يكن فيها شيء من هذه الحرية ، ولا استراحت من العداوات والفتن التي أثارها عليهم نصارى الرومالي فالناضول بدسائس أوربة حتى كانت سبب انحلال السلطنة العثمانية — هذا رأيهم ، ومن الغريب ان كثيراً من نصارى بلادنا المتفرنجين يوافقونهم على هذه النظرية ويقولون ياليت المسلمين أكرهوا اجدادنا على الاسلام في ازمنا الفتح والقوة ، اذا كنا في اوطاننا ملة واحدة ذات ملة واحدة فنسلم من شقاء هذا الشقاق والفتن المخربة للبلاد

لا مجال في هذا المقام لتحرير القول في هذه المسألة ، وليس من الصعب بيان خطأ من يظن أن معاملة نصارى الدولة بعدل الشريعة الاسلامية وحريتها هو الذي ألهم عليها ولا اثبات ان الذي ألهمهم ثم أثارهم هو جهل رجال الدولة وغفلتهم عن دسائس أوربة في هذه الشعوب وما بشرافي مدارسها وكنائسها ؛، وإنما غرضنا

٢٦٠ العدل العام والمساواة في الشريعة المنار ج ٤م ٢٤

من ذكرها ان الشريعة الاسلامية خير للنصارى في بلاد اكثر اهلها مسلمون من حكومة مدنية لا يتقيد اهلها بأصول هذه الشريعة — كما كانوا في عهد الخلفاء من العرب — فان الفرق الحقيقي بين الحكومتين هو ان الاكثرية المسلمة لايجل لها ان تتبع هواها في التشريع الديني ولا في التنفيذ بما يعد ظالماً للاقلية غير المسلمة لان الله تعالى حرم الظلم تحريماً مطلقاً لاهواة فيه ولا عذر ، ووجب العدل إيجاباً مطلقاً عاماً لا محاباة فيه ، وحذر تحذيراً خاصاً من ترك العدل في حالة الكراهة والبغض من اي فريق كان بقوله تعالى (ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا. إعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خير بما تعملون) اي ولا يحملنكم بغض قوم لكم او بفضيحتهم — قال بعض المفسرين اي الكفار ، والصواب انه اعم — على أن لا تعدلوا فيهم بل اعدلوا فيهم كغيرهم — وحذف المعمول دليل العموم — اي اعدلوا عدلاً مطلقاً عاماً في المؤمن والكافر ، والبر والفاجر ، والصديق والمدو ، الخ وقال في آية اخرى (يا ايها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ، ان يكن غنياً او فقيراً فالله أولى بهما ، فلا تتبعوا الهوى ان تعدلوا وإن تلووا او تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيراً) اي كونوا قائمين بالعدل في الاحكام وغيرها على اكل وجه — كما تدل عليه صيغة المبالغة — شهداء لله في إثبات الحق ، وما كان لله لا يميز فيه المؤمن نفسه ولا والديه واقرب الناس اليه على غيره ، لان هذا التمييز إثارة لنفسه او لقربه على ربه الذي جعل الشهادة له سبحانه ، ولا يفرق فيه بين الغني والفقير بأن يجابي الغني طمعاً في نواله او الفقير رحمة به ، وقفى على هذا الامر بالنهي عن ضده وهو اتباع هوى النفس ، كراهة للعدل ومحظر التي والتحريف للشهادة او الاعراض عنها او عن الحكم بالحق ، وتهدد فاعل ذلك وتوعده أنه خير بأمره لا يخفى عليه منه شيء — دع ما ورد في الاحاديث النبوية من الوصية بأهل المهد والذمة خاصة ، ولولا ذلك لفعلت الحكومات الاسلامية القوية بالمخالفين لهم ما فعل غيرهم من إبادة بعض وإجلاء آخرين عن ديارهم أو إكراههم على الاسلام ، او سن قوانين استثنائية لقهرهم وإذلالهم ، وفي التاريخ العثماني ان السلطان سليمان استغنى شيخ الاسلام ابا السعود العمادي الدمشقي الاصل في إكراه النصارى على الاسلام او الجلاء فأبى ان يفتيه وبين له ان الشريعة

المناج ٤ م ٢٤ شهادة غير المسلم على المسلم وعدالته ٢٦١

لا تبيح ذلك فأذعن، وكان يريد ان يفعل بهم كما فعلت الدولة الاسبانية بمسلمي الأندلس

و ثم فرق آخر بين الشرع الاسلامي والاشتراخ البشري الذي لا تتقيد حكومته بالدين هو في مصلحة غير المسلمين أيضا، وهو أن كل مسلم يعتقد أن الحكم الشرعي حكم الهي وان طاعته قرينة وزلنى عند الله يثاب عليها في الآخرة، وعصيانه عصيان لله تعالى يعاقب عليه فيها، سواء حكم به الحاكم عليه أم لا، ولكن حكم الحاكم يرفع خلاف المذاهب، فتكون طاعته ضربة لازب. وهذا ضمان لغير المسلم الوازع فيه نفسي ولا ضمان مثله للمسلم من غيره،

(فان قيل) كل ذي دين يحاسب نفسه (أو ضميره) على ما يعتقد من حق عليه. (قلنا) هذا عام مشترك وما نحن فيه أخص منه، وهو احترام الحكم الشرعي ووجوب طاعة الحاكم اذا حكم عليه سواء اعتقد صحته أم لم يمتقد - وان أمن عقاب الحكومة في التفصي منه بالحيلة

وجملة القول أنه ليس في الشريعة ظلم لغير المسلم يعذبه على كراهتها وهي تساوي بين أضعف ذمي أو معاهد وبين الخليفة الأعظم في موقف القضاء وتقرير الحقوق، والشواهد على هذا في عصر الخلافة الراشدة وما بعدها متعددة واننا نصرح بكل قوة بأن العدل العام المطلق لم يوجد الا في الاسلام

ولا نعرف لهم مطمنا في هذه المساواة الا مسألة رد شهادة غير المسلم على المسلم. وهي مسألة لا يقوم دليل على إطلاق القول فيها. بل لها مخرج من الكتاب والسنة واصول الشريعة. فقد قال تعالى في سورة المائدة وهي من آخر ما نزل من القرآن ليس فيها حكم منسوخ (يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم) الآية - المتبادر الذي عليه جمهور السلف والخلف أن المراد بغيركم غير الخطابين بالآية وهم المسلمون وخصه بعض العلماء بأهل الكتاب ولا دليل على هذا التخصيص، وقيده بعضهم بمثل الحالة التي نزلت فيها الآية بناء على أن الأصل في شهادة غير المسلم العدل أن ترد لقوله تعالى (وأشهدوا ذوي عدل منكم) وقد ينأضعف الاستدلال بهذه الآية على ما ذكر في تفسير آية المائدة بتفصيل منه ان هذا في الامر بالأشهاد في مسألة المطلقات المعتدات من المسلمات لا في

الشهادة مطلقاً ولا في كل اشهاد ، وقد قال تعالى في الاشهاد على الاموال (فاذا دفعتم اليهم أموالهم فأشهدوا عليهم) ولم يتيد هذا الاشهاد بالمدول من المؤمنين كما قيده في المسألة الخاصة بالنساء المسلمات ، وبيننا ضعف حمل المطلق على المقيد في الآيتين مع اختلاف موضوعهما ، والفرق بين الاشهاد والشهادة ، كما بيننا ضعف القول بأن غير المسلم لا يكون عدلاً بدليل القرآن اذ جاء فيه (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) وقوله (ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده اليك) كما بيننا ضعفه بدليل سيرة البشر المعلومة بالاختبار والعقل وهو أنه لم توجد أمة من الامم جردت من الصدق والعدالة بحيث لا يصدق أحد من أهلها ، وبيننا أيضاً سبب تفضيل الفقهاء للمسلم على غيره في الشهادة من أربعة أوجه أهمها ما كان عليه المسلمون الاولون من التقوى والصدق وعدم المحاباة عملاً بوصايا الدين التي تقدم بعض الآيات فيها آتفاً ، وما اتفق عليه المؤرخون في مقابلة ذلك من غلبة فساد الاخلاق على الامم الأخرى التي فتحت المسلمون بلادها

وفي اصول الشريعة مستند آخر لشهادة غير المسلم وهو دخولها في عموم البينة اذا ثبت عند القاضي صدقه فيها فان البينة في اللغة كل ما يتبين به الحق وقد فصل المحقق ابن القيم هذا المعنى في كتابه (إعلام الموقعين) ونشرنا ذلك في المنار وبيننا انه يدخل في عموم البينة كل ما تجدد في هذا العصر من أنواع الجرائم كأثر خطوط الاصابع على الاشياء مثلاً . ومن أراد التفصيل فعليه بالمنار وتفسيره فلم يبق بعد هذا البيان على إجماله من عذر ان غير المسلمين اذا ذكر هو احياء الشريعة الاسلامية العادلة لمحض التعصب الاعمي أو لتفضيل تشريع الا جانب على تشريع من يشاركهم في وطنهم . وليس من الحق ولا من العدل أن تكلف أمة ترك منقبة التشريع الفضلى ، ومثل هذه الحكومة المثلى ، إرضاء لفئة قليلة لا مصلحة لها في تركها وانما تكرهها لمحض التعصب على السواد الاعظم من أهل وطنها ، وناهيك بما تأرث من الاضغان بين مسلمي الاناضول والروم والارمن الذين خرجوا على الترك في زمن محنتهم ، وساعدوا أعداءهم عليهم في حربهم ، وموضوع الكلام في إقامة الخلافة في هذه البلاد التركية فاذا رضي الترك بذلك وعاملوا هؤلاء الجناة البغاة بعدل الشريعة ورحمتها فلا يعقل أن يكرهوا

ذلك أو يفضلوا عليه غيره ان كانوا يعقلون، وانما أخشى أن يكون هذا الامر نفسه مما ينفر كثيرا من الترك عن إقامة الشريعة التي تحرم ان يتبعوا الهوى في معاملة أقوام أولئك الجناة القساة الذين خربوا ديارهم بالنار والبارود وهم يرونها بأعينهم أكواماً من الرماد والانقاض

وهذه حكومات جزيرة العرب إسلامية محضه ليس فيها قوانين وضعية ولا تشريع أوربي، وأقدمها حكومة أئمة اليمن وهناك كثير من اليهود وهم راضون من حكومة الامامة الشرعية لم يشكوا منها ظلماً ولا هضماً، ولا يفضلون عليها حكومة أخرى؛ ولو سرى اليهم سم السياسة الاستعمارية من طريق التعليم أو غيره لافسدوهم على حكومتهم، واثاروهم عليها لطلب وطن قومي لهم في البلاد. ولوعدهم نافثوا السم بالمساعدة على ذلك حبا في الانسانية أي حبا بافساد الانسانية واثارة البغضاء بين المختلفين في الدين والجنس واللغة بعضهم على بعض ليتسكنوا هم من استمباد الجميع. (فاعتبروا يا أولي الابصار)

٣٤ - الخلافة ودول الاستعمار

من البديهي^(١) أن إقامة الخلافة الاسلامية يسوء رجال دول الاستعمار، وانهم قديقا ومونها بكل ما أوتوا من حول وقوة، وأحرصهم على ذلك الدولة البريطانية، ولا أجهل ممن يظنون أنها كانت تسعى قبل الحرب لجعل الخلافة في الامة المربية، الا الذين يظنون اليوم انها تود اليوم تأسيس دولة او دول عربية ولو كانت تريد هذا من قبل لكان أقرب طرقه مساعدة أئمة اليمن المجاورين لها في منطقة عدن على الترك بالاسلح والمال لتنظيم جيشهم والاستيلاء على الحجاز، فان حكومة الامامة في اليمن قوية عادلة قديمة راسخة يرجع تاريخها الى القرن الثالث من الهجرة، وقد حاربتها الدولة العثمانية زهاء أربعة قرون لاستقاطها فمجزت عن ذلك، ولكن الحكومة البريطانية كانت لها بالمرصاد، وما زالت تكيدها، وتسمى بالدسائس والفتن للتدخل في شؤونها، والتوسل بذلك للاستيلاء عليها، ولم تستطع ذلك ولن يجمل الله لها عليها سبيلا

(١) «انا نختار ما اختاره علماء المعقول من قدمائنا في النسبة الي البديهة والطبيعة

والعزيمة علي الفاظها كالتسليقة الذي ثبت سماعا

وقد اشتهر لدى الخاس والعام أن الدولة البريطانية، كانت ظهيرة للخلافة العثمانية التركية، وما ذلك الا لعلها أنها صورية، وانها هي التي تنتقم باظهار صداقتها لها، وكان رجال هذه الدولة الداهية أعلم الناس بأن هذه الدولة قد دب في جسمها الانحلال، وانها سائرة في طريق الفناء والزوال، وانما كانوا يحاولون أن تبقى حصناً بين القيصرية الروسية الخيفة بسرعة تكوينها ونموها وبين البحر الابيض المتوسط، على شرط أن تكون قوة هذا الحصن بما وراءه من المساعدة البريطانية لا بنفسه. وقد بينا هذا في المنار من قبل، وان الغازي احمد مختار باشا وافقنا على أن قاعدة الدولة البريطانية في السياسة العثمانية: ان لا تموت الدولة ولا تحيا، وبيننا أيضاً أن هذه القاعدة قد تغيرت بما كان بين الدولتين البريطانية والروسية على مسائل الشرق، وافتسامهما بلاد ايران قبل الحرب، وانها تجنح الى إقامة خلافة عربية صورية تكون آلة بيدها الا بعد الحرب العامة والتمكن من خداع شريف مكة وتسخيرها لمساعدتها، ونحمد الله أن جعلنا من أسباب خيبة هذا السعي حتى لم يتم لها

قد عنيت الدولة البريطانية منذ أول زمن هذه الحرب بالبحث في مسألة الخلافة وطقق رجالها يستطلعون علماء المسلمين وزعماءهم في مصر والسودان والهند وغيرها آراءهم فيها ليكنوا على بصيرة فيما يريدونه من إبطال تأثير إعلان الخليفة العثماني الجهاد الديني بدعوى بطلان صحة خلافته من جهة وبدعوى أن هذه الحرب لا شأن للدين فيها من جهة أخرى، وقد وجد من منافقي الهند من كتب لهم رسالة باللغة الانكليزية في ذلك وأرسلها اليها ناشرها لترجمها بالعربية ونشرها في المنار فمعجبنا من جهله وتعاقه، ولو لا المراقبة الشديدة على الصحف عامة والمنار خاصة في تلك الايام لرددنا عليها. وقد اطلعنا على ما كتبه بعض علماء مصر لهم في الخلافة وهو نقل عبارة شرح المقاصد وعبارات أخرى في معناها وعلما ان بعض العلماء كتب لهم بعض الحقائق فيها

وقد دارت بيننا وبين بعض رجالهم مناقشات في المسألة العربية اقتضت أن نكتب لهم مذكرة في تخطيط سياستهم فيها بينا في المذكرة الاولى منها التي قدمناها لهم في أوائل سنة ١٩١٥ أن أكثر مسلمي الارض متمسكون بالدولة العثمانية وخليفتها لانها أقوى الحكومات الاسلامية وانهم يخافون أن يزول

المنار: ج ٣ م ٢٤ نصح صاحب المنار للانكليز في المسألة الاسلامية ٢٦٥

بزوالها حكم الاسلام من الارض، وان هذا اعظم شأننا عندكم من بقاء المعاهد المقدسة سليمة مصونة. بل بينا لهم أيضاً أن إعلانها الجهاد شرعي وان سبب ضعف تأثيره في مثل مصر هو الاعتقاد بأنها منتصرة مع حلفائها فلا تحتاج الى مساعدة

وعدت الى بحث الخلافة في آخر مذكرة منها وهي التي أرسلتها الى الوزير لويد جورج في منتصف سنة ١٩١٩ فقلت في بيان ما يرضي المسلمين من انكسار « ان الوزير قد علم أن الاعتراف باستقلال الحجاز وتسمية أمير مكة ملكاً لم يكن له ذلك التأثير الذي كان الانكليز يتوقعونه من قلوب المسلمين — ذلك بأن بلاد الحجاز أفقر البلاد الاسلامية وأضعفها في كل شيء، وهي موطن عبادة، لا ملك وسيادة، ولم يكن المسلمون مضطربين من الخوف على المساجد المقدسة أن تهدم أو يمنع الناس من الصلاة فيها والحج إليها وزيارتها، بل الاضطراب الاعظم على السلطة الاسلامية التي يعتقدون أن لبقاء الاسلام بدونها، والحرص على بقائها ممزوج بدم كل مسلم وعصبة، فهو لا يرى دينه باقياً الا بوجود دولة اسلامية مستقلة قوية قادرة بذاتها على تنفيذ أحكام شرعه بغير ممارض ولا سيطرة اجنبية، وهذا هو السبب في تعلق أكثر مسلمي الارض بمحبة دولة الترك واعتبارهم إياها هي الدولة الممثلة لخلافة النبوة، مع فقد ساططهم لما عدا القوة والاستقلال من شروطها الخاصة، ولولا ذلك لاعترفوا بخلافة امام ابن لشرق نسبة وعلمه بالشرع واستجماعه لغير ذلك من شروط الخلافة، ذلك بأن الشروط تمدناوية بالنسبة الى اصل المطلوب، مثال ذلك أن الحكومة المصرية تشترط في مستخدميها أن يكونوا مصريي الجنس حارقين باللهمة العربية حاملين لشهادات مخصوصة — ولكنها عند ما تحتاج الى مستخدميها من غير مصرى يعرفه تترك اشتراط ذلك فيه لانه إنما يقدم المسوي للشرور على غيره اذا كان قادراً على أصل العمل المطلوب »

اه المراد هنا من مذكرتنا الى لويد جورج

وكان الغرض من هذا أن لا يغتروا بما يمسون من عدم استجماع الخليفة التركي لشروط الخلافة، ولا بما كانوا يرمون اليه من جعل شريف مكة خليفة

٢٦٦ الخلافة وتهيمة الجامعة الإسلامية المئارج ٤ م ٢٤

بعد اعترافه لم بأن مكان الأمة العربية من انكثرة مكان القاصر بالطفولية أو الفته من الوصي ورضاه بحمايتهم له ولها ، وقد صرحنا للوزير في هذه المذكرة بأن الذي يرضي العالم الاسلامي من دولته ترك الشعوب الاسلامية العربية والتركية والفارسية أحرارا مستقلين في بلادهم وبقاء مسألة الخلافة على ما هي عليه الى ان يمكن تأليف مؤتمر اسلامي عام لحل مشكلتها، وقد بينا فيها ايضا أن هذه الدولة مستهدفة لعداوة الشرق كله بالتبع لعداوة العالم الاسلامي فلا يفرها ضعف المسلمين وتفرقهم فتعترف عدوتهم مع كونهم مئات الملايين فانهم لن يكونوا أضعف من « ميكروبات » الأوبئة. وسننشر هذه المذكرة في الوقت المناسب لم يبال هذا الوزير بنصح هذه المذكرة فاستمر على سياسة القضاء على دولة الترك واستعباد العرب حتى خذله الله وخذله قومه وأسقطوا وزارته، ولكن بقي أشد أنصاره في الوزارة التي خلفتها وهو لورد كرزون التي هو أشد تمصبا وعداوة للمسلمين منه فذلك لم يتغير من سياسة الدولة شيء في المسألة الاسلامية الا ما اضطرت اليه من مجاملة الدولة التركية الجديدة بمد تنكيلها بالجيش اليوناني الذي أغرته وزارة لويد جورج بالقضاء على ما بقي للترك من القوة في الاناضول، فأثبتت بذلك أنها لا تلين إلا للقوة، وأما الحق والعدل والوفاء بالعهود والوعود فلها في قاموس سياستها معان أخرى غير ما يعرفه سائر البشر في لغاتهم

٣٥ — الخلافة وتهيمة الجامعة الإسلامية

ان السبب الاول لكون الدولة البريطانية هي الخصم الاكبر الاشد الاقوى من خصوم الخلافة الاسلامية هو أنها تخشى أن تتجدد بها حياة الاسلام وتتحقق فكرة الجامعة الاسلامية فيعول ذلك دون استعبادها للشرق كله. وقد نشرنا في مجلدات المئارج اقوالا كثيرة للساسة الأوربيين في هذه المسألة من أهمها ما نشرناه في المجلد العاشر سنة ١٣٢٥ من رأي كرومر في تقريره السنوي عن مصر والسودان سنة ١٩٠٦ فيها واهم قوله

« المقصود من الجامعة الاسلامية بوجه الاجمال اجتماع المسلمين في العالم كله على تحدي قوات الدول المسيحية ومقاومتها ، فاذا نظر اليها من هذا الوجه وجب على كل الامم الاوربية التي لها مصالح سياسية في الشرق أن تراقب

هذه الحركة مراقبة دقيقة لأنها يمكن أن تؤدي الى حوادث متفرقة فتتضرر فيها نيران التعصب الديني في جهات مختلفة من العالم»
ثم ذكر ان للجامعة الاسلامية معاني أخرى أهم من المعنى الاصلي وهي (أولها) في مصر الخضوع للسلطان وترويج مقاصده
(وثانيها) استلزامها لتبجيل الاحقاد الجنسية والدينية الأ فيما ندر
(وثالثها) السعي في اصلاح أمر الاسلام على النهج الاسلامي (!!) وبعبارة أخرى السعي في القرن العشرين لاعادة مباديء وضعت منذ ألف سنة هدى هبئة اجتماعية في حالة الفطرة والسذاجة « وذكر أن عيب هذه المباديء والسنة والشرائع هو المناقضة لآراء أهل هذا العصر في علاقة الرجال بالنساء وأما ثالثاً قال انه « أهم من ذلك كله وهو أفراغ القوانين المدنية والجنائية والمالية في قالب واحد لا يقبل تقييراً ولا تحويراً (قال) وهذا ما وقف تقدم البلدان التي دان أهلها بدين الاسلام»

ثم قفى على تحذير الأوربيين من الجامعة الاسلامية بتحذيرهم من الجامعة الوطنية لئلا تتجلبب بها الاولى « التي هي اعظم الحركات المتفجرة »
رددنا على لورد كرومر في كل هذه المسائل رداً مسهباً ورد غيرنا عليه أيضاً، وفي هذه المباحث ما فيها من تفنيد كلامه، وغرضنا هنا أن نبين شدة اهتمام الانكليز بمقاومة الجامعة الاسلامية بكل معنى من معانيها، وتحريضهم جهيم الأوربيين وجهيم النصارى عليها وعلى من يتصدى لها، وتحذير المسلمين منها ولقد كان من إرهاب أوربة للشعوب الاسلامية وحكوماتها أن جعلتها تخاف وتحذر كل ما يكرهه الأوربيون منها وتظهر الرغبة في كل ما يدعونها اليه وجروا على ذلك حتى صار الكثيرون منهم يمتقدون ان ما استحسنته لهم هؤلاء الطامعون فيهم هو الحسن، وما يستقبحونه منهم هو القبيح، اذ تربوا على ذلك، ولم يجدوا أحداً يبين لهم الحقائق— وكان هذا شأنهم على سلب استقلال هؤلاء الخدوعين والمرهين في بعض البلاد وغلبة نفوذهم على نفوذ الحكومة في بلاد أخرى كصر والدولة العثمانية، واستحوذ الجبن والظور على رجال الحكومات في هذه البلاد حتى ان أركان الدولة العثمانية لم يتجرؤا على الاذن لنا بإنشاء مدرسة اسلامية في عاصمتها باسم (دار الدعوة والارشاد) كما تقدم، ولم

٢٦٨ موافقة بعض المسلمين للأفرنج في مسألة الخلافة المنار: ج٤، ص٢٤٤

يكونوا كلهم يجهلون ما ذكرت بل قال لي شيخ الاسلام حسني أفندي رحمه الله تعالى : ان عندنا قاعدة مطردة في الأفرنج هي أن كل ما يرغبوننا فيه فهو ضارٌ بنا وكل ما ينفروننا عنه فهو نافع لنا . وإنما هو جبن بعض الرؤساء وفساد عقائد بعض . وما الجبن الاغشاة من الوهم على عين البصيرة انقضت عن ترك الأناضول ، فأرأوا أنهم بعد انكسارهم في الحرب العامة، وفقدتهم لتلك الممالك الواسعة، أعزوا أقوى مما كانوا عليه منذ مائتي سنة، إذ كانت البلاد فيها تفتقد من أطرافها، وتفوذ الأجانب في عاصمة الدولة فوق نفوذ خليفتها وسلطانها . لهذا السبب ينوط الرجاء بحكومة الأناضول ألوف الألوف من المسلمين أن نحيي منصب الخلافة وتجدد به مجد الاسلام وشريعته الغراء التي يرجى أن يتجدد باحيائها مجد الانسانية، ويدخل البشر في عصر جديد ينجون به من مفسد المدنية المادية، التي تهدد العمران الاوربي بالزوال

أنا لا أتصور أن يكون العرب من معارضة دول أوربة الاستعمارية هو الذي يمنع الترك من اقامة الخلافة الاسلامية . فان هذا شكل حكومتنا، ومقتضى ديننا ، وطالما صرحت هذه الدول بعد الحرب بأنها لا تفتت على المسلمين في أمر الخلافة . وأما الجامعة الاسلامية التي يخافونها فهي مسألة أخرى . ولكل دولة لها رعايا من المسلمين أن تسوسهم بالطريقة التي تراها أحفظ لمصلحتها، نعم لن يكون الأفرنج هم الذين يمنعون إقامة الخلافة ولكن الذي يخشى أن يمنحها إنما هم المتفرنجون دون غيرهم وقد شرحنا ذلك من قبل

من المعقول في السياسة أن يطمئن المستعمرون للبلاد الاسلامية في جامعة دينية يظنون أنها قد تقضي الى انتقاض أهل هذه البلاد عليهم ، ويخافون أن تكون الخلافة الحق سبباً لتحقيق هذه الجامعة، وأن يطمئنا في الشريعة الاسلامية وينفروا المسلمين منها لاجل ذلك ، كما يطمئن فيها دعاة النصرانية لهذه الملة وللطعم في تنصير المسلمين ، وهذا الخوف من اقامة الخلافة يكون على أشده اذا كان الباعث على اقامتها السياسة المحضة التي يستحل أصحابها كل عمل لاجل مصلحتهم ، وقد يكون دون ذلك اذا كان الباعث دينياً محضاً وهو اقامة حكم الاسلام كما شرعه الله تعالى، وليس من شروطها أن يتبعها جميع المسلمين ، ونحن نعلم أن هذا متعذر غير مستطاع في هذا الزمان ، وتكليف غير المستطاع

ممنوع في الإسلام (لا يكف الله نفسا الأوسعها) بل نحن نرى الرأي الغالب في بعض البلاد يأبي إحياء الخلافة حتى اننا نجد في اقناع الحكومة التركية الحاضرة به ونشك في قبولها ، فان زعيمها وصاحب النفوذ الاعلى في أقوى أحزابها يصرح في خطبه بأن السلطة في هذه الحكومة للامة التي يمثلها المجلس الوطني الكبير بلا شرط ولا قيد وانه لا يمكن أن يكون لشخص معين نفوذ فيها مهما يكن لقبه — أي خليفة سمي أو سلطانا —

لما أذاع الاتحاديون عزمهم على انشاء مدرسة جامعة اسلامية في المدينة المنورة وابتداع سجل لطلاب الشفاعة النبوية فيها وقاتل الجرائد وغير الجرائد أن مرادهم بذلك احياء الجامعة الاسلامية — كتبت مقالة في هذا الموضوع نشرتها في المجلد السابع عشر من المنار (سنة ١٣٣٢) قلت فيها نصه :

«وأما رأي الذي انصح به للدولة، فهو أن تصدي رجالها السياسيين لتحريرك أوتار الجامعة الاسلامية يضر الدولة كثيرا ولا ينفعها الا قليلا ، ويوشك أن تكون هذه الاقوال التي قيلت في هذه المسألة — على قلة تأثيرها — من اسباب ما نراه من شدة تحامل أوربة عليها ، واكتفي في هذا المقام بالمثل الذي يكرره الامام الغزالي « كن يهوديا صرفا والا فلا تلمب بالتوراة »
« ومرادي من هذا انه يجب عليها احد امرين :

(الاول) ان تؤسس حكومة اسلامية ، خالية من التقاليد والقوانين الافرنجية ، الا ما كان من النظام ، الذي يتفق مع الشرع ولا يختلف باختلاف الاقوام ، وتمطي مقام الخلافة حقه من احياء دعوة الاسلام ، واقامة الحدود وحرية اهل الاديان ، ولا يمجزها حينئذ أن ترضي غير المسلمين من رعاياها الذين ليس لهم اهواء سياسية ، ولا ضلع من الدول الاجنبية ، بل يكون ارضاؤهم اسهل عليها منه الآن ان شاءته . ولو كان لي رجاء في اصغائها الى هذا الرأي ، او جعله محل النظر والبحث ، لبينت ذلك بالتفصيل ، ولاوردت ما أعلمه من المشكلات والعقبات التي تعترض في طريق تنفيذها من داخلية وخارجية مع بيان المخرج منها ، ثم ما يترتب عليه من تجديد حياة الدولة وكونه هو المنجبي لها من الخطر ، وان تراهي لكثير من الناس أنه هو المسرع بالخطر ، فلنأمنهم أن أوربة تعجل بالاجهاز على الدولة اذا علمت أنها شرعت بنهضة اسلامية ،

٢٧٠ كلمة للورد كرمر في الشريعة المنار ج ٤ م ٢٤

لعلها بأن هذه هي حياتها الحقيقية، وكون حياتها بهذا هو ما يصرح به بعض أحرار الأوربيين وان خوف منه بالتثويه والايهام أكثر السياسيين (الثاني) أن تدع كل ما عدا الامور الرسمية المعهودة لديها من أمور الدين الى الجمعيات الدينية الحرة، والافراد الذين يدفعهم استعدادهم الى هذه الخدمة، ولها أن تساعد ما يستحق المساعدة من هذه الاعمال بالحماية، وكذا بالاعانة المالية من أوقاف المسلمين الخيرية (اذا كانت تريد بقاء الأوقاف العامة في يدها ولم تجب طلاب الاصلاح الى جعل اوقاف كل ولاية في أيدي أهلها) مع بقاءها بمعزل عن السياسة وأهلها. ولو لا أن هذا هو رأي لما اشترطت على رجال الدولة وجمعية الاتحاد إذ عرضت عليهم مشروع الدعوة والارشاد أن يكون في يد جماعة حرة، لاعلاقة لها بالسياسة، وأن لا تخصص لها عانة من خزينة الدولة، بل تكون نفقاتها مما تجمعه هي من الاعانات بأنواعها ومما تعطاه من أوقاف المسلمين الخيرية. (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري الى الله، إن الله بصير بالعباد) اهـ

هذا ما كتبناه في ذلك الوقت وقد شرحنا آراء الأفرنج في الجامعة الاسلامية وما فيها من الاوهام وما ينبغي للمسلمين مرارا، في مجلدات المنار

٣٦ - شهادة لوردين للشريعة الاسلامية

ما كل من يتكلم في الاسلام وشريعته من الأفرنج يتكلم عن علم صحيح وما كل من لديه علم يقول ما يعتقد فان منهم من تنطقه السياسة بما تربه من مصلحة دولته، ومنهم المتعصب الذي لا يبحث عن شيء من امر الاسلام الا ما يمكن الطعن فيه لتشكيك المسلمين في دينهم أو لتجريض أعدائهم عليهم. وقد وجد فيهم من قال الحق في الاسلام وشريعته في أحوال اقتضت ذلك من هؤلاء لورد كرمر الذي طعن الشريعة تلك الطعنة النجلاء التي أقامت مصر وأقعدتها قد اضطر الى انصافها وتقييدها ما أطلقه من الطعن فيها بما لا ينكره احد من عقلاء المسلمين، كما أنصفها بكلمة قالها مرة للاستاذ الامام ونشرنا هذا وذلك في مجلد المنار العاشر إذ كان هو بمصر، فقد قلت في سياق الرد على طاعنته ان الاستاذ الامام رحمه الله تعالى حدثني أنه كان يكلمه مرة في

مسألة اصلاح المحاكم الشرعية في إبان اهتمام الشعب والحكومة بها واعتراض بعض العلماء على اصلاحها، فأقام له الدلائل على أن الاسلام يدعو الى كل اصلاح، ويناسب كل زمان، فقال له اللورد ما ترجمته :

« أتصدق يا استاذ أنني أعتقد أن ديناً اوجد مدينة جديدة وقامت به دول عظيمة لا يكون اساسه العدل؟ هذا محال، ولكنني اعلم ان هذه المقاومات (اي لاصلاح المحاكم) امور (إكثريكية)» اي تقاليد رجال الدين الاسلامي كتقاليد الكنيسة عند النصارى

هذه الحكمة حملتني على ارسال كتاب الى اللورد هذا نصه :

القاهرة في ٢٠ ربيع الاول سنة ١٣٢٥

جناب اللورد العظيم

أحييك بما يليق بمكانتك، وان لم يسبق لي شرف المعرفة لحضرتك، وأرجو أن تمن علي بوضع دقائق من وقتك الثمين تجيبني فيها عن السؤال الآتي الذي يهمني من حيث أنا صاحب مجلة إسلامية تدافع عن الدين وتبحث في فلسفته وهو: هل عنيت بما قلت في تقريرك الاخير عن الحكم بالشرعية الاسلامية «التي وضعت منذ أكثر من ألف سنة» الدين الاسلامي نفسه الذي هو عبارة عن القرآن الحكيم والسنة النبوية؟ أم عنيت بذلك الفقه الاسلامي الذي وضعه الفقهاء؟ فان كنت تعني الثاني فهو من وضع البشر وقد مزجت فيه آراؤهم بما يأخذونه عن الاول وخطأ فيه بعضهم بعضاً وقد ترك حكام المسلمين أنفسهم العمل بكثير منه ولطلاب الاصلاح من المسلمين انتقاد على كثير من تلك الآراء في كل مذهب. وان كنت تعني الاول فهذا العاجز مستعد لان يبين لجنابتك أن معظم ما جاء في الدين نفسه من الاحكام القضائية والسياسية هو من القواعد العامة - وهي توافق مصلحة البشر في كل زمان ومكان لان اساسها درء المفاسد وجلب المصالح بحكم الشورى - وما فيه من الاحكام الجزئية (وهو مقابل المعظم) راجع الى ذلك. وأختم رقيمي مودعا لجنابتكم بالتحية والاحترام

منشيء المنار بمصر

محمد رشيد رضا

٢٧٢ شهادة كرومر وكتشتر للشريعة الإسلامية المنار ج ٤م ٤٤

وقد أجبنا بالكتاب الآتي بنصه العربي موقفا ومؤرخا بنخطه الأفرنجي وهو

كتاب لورد كرومر الى صاحب المنار

حضرة صاحب الفضيلة العلامة الشيخ رشيد رضا صاحب جريد المنار جوابا على خطابكم اقول ابي عنيت بما كتبت مجموع القوانين الاسلامية التي تسمونها الفقه لانها هي التي تجري عليها الاحكام ولم اعن الدين الاصلاحي نفسه ولذلك قلت في هذا التقرير الأخير وفي غيره بوجوب مساعدة الحزب الاسلامي الذي يطلب الاصلاح ويسير مع المدنية من غير ان يمس اصول الدين . ولعل العبارة التي كتبها بتقريرتي كانت موجزة فلم تؤد المراد تماما واقبلوا يا حضرة الاستاذ احترامي الفائق

كرومر

في ٤ مايو سنة ١٩٠٧

كلمة لورد كتشتر للسيد الزهراوي

زار السيد عبد الحميد الزهراوي عقب تعيينه عضواً في مجلس الاعيان العثماني مصر ونزل ضيفا عند صديقه صاحب المنار ، وزار لورد كتشتر العميد البريطاني في ذلك الوقت بايعاز و كنت معه فكان مما قاله له اللورد باللغة العربية: ^(١) « ان الدولة العثمانية لا تصلح بالقوانين التي تقتبسها منا — معشر الاوربيين — ونحن ما صلحت لنا هذه القوانين الا بعد تربية تدريجية في عدة قرون كنا نغير فيها ونبدل بحسب اختلاف الاحوال ، وان عندكم شريعة عادلة موافقة لعقائدكم ولاحوالكم الاجتماعية ، فالواجب على الدولة ان تعمل بها وترك قوانين اوروبية فتقيم المعدل وتحفظ الامن وتستغل بلادها الخصبة ، وعندني انها لا تصلح بغير هذا »

هذا الكلام حق وان جاز على قائله الجهل والخطأ فيما يظن انه لا يصلح لنا من قوانين اوروبية ونحن نعلم ان كل مالمهم من حق وعدل في ذلك فشريعتنا قد سبقت الى تقريره كما علم مما تقدم ولتفضيل ذلك مقام آخر

(١) نشرنا هذا في ص ٧٧ م ١٧ من المنار

أهل الصفة

(وأباطيل بعض المتصوفة فيهم وفي الأولياء وأصنافهم والدعاوى فيهم)

لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن تيمية قدس سره

تابع لما قبله

وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم غزوات متعددة وكان القتال منه في تسع مغاز مثل بدر ، وأحد ، والخندق ، وخيبر ، وحنين ، وانكسر المسلمون يوم أحد وأهزموا ثم عادوا يوم حنين ونهزم الله بدر وهم أذلة، وحصروا في الخندق حتى دفع الله عنهم أولئك الأعداء وفي جيم المواطن (كان) يكون المؤمنون من أهل الصفة ونهزم مع النبي صلى الله عليه وسلم لم يقابلوا مع الكفار قط

وتمايظن هذا ويقوله من الضلال والمناققين قسما (قسم منافقون) وان أظهروا الاسلام وكان في بعضهم زهادة وعبادة يظنن أن الى الله طريقا غير الايمان بالرسول ومناجته وان من أولياء الله من يستغني عن متابعة الرسول كاستغناء الخضر عن اتباع موسى وفي هؤلاء من يفضل شيخه أو عالمه أو ملكه على النبي صلى الله عليه وسلم اما تفضيلا مطلقا أو في بعض صفات الكمال وهؤلاء منافقون كفار يجب قتلهم بعد قيام الحجرة عليهم فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى جميع النقلين انهم وجاهدوا وملوكهم وموسى عليه السلام اما بعث الى قومه لم يكن مبعوثا الى الخضر ولا كان يجب على الخضر اتباعه بل قال له اني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه. وأنت على علم من الله تعالى علمكه الله لا أعلمه. وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «وكان النبي يبعث الى قومه خائفة وبعثت الى الناس عامة» وقال الله تعالى (يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الذي له ملك السموات والارض) وقال تعالى (وما أرسلناك الا كفة للناس بشيرا ونذيرا

(والقسم الثاني) من يشاهد ربه بعبادة الله تعالى لعباده التي عمت جميع البرايا

ويظن أن دين الله الموافقة للقدر سواء كان ذلك في عبادة الاوثان واتخاذ الشركاء

(المنار : ج ٤) (٣٥) (المجلد الرايع والعشرون)

٢٧٤ كون توحيد الربوبية يجتمع مع الشرك وتعطيل الشرع المنار ج ٢٣٤

والشفعاء من دونه وسواء كان فيه الايمان بكتبه ورسله والاعراض عنهم والكفر بهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين في الارض وبين المتقين والفجار، ويجعلون المسلمين كالمجربين ويجعلون الايمان والتقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان وأهل الجنة كاهل النار وأرلياء الله كاعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة، بنوا على أنه توحيد الربوبية الذي يقر به المشركون وأنه الحقيقة الكونية. وهؤلاء يدعون الله على حرفة فان أصابهم خير اطمانوا به وان أصابهم فتنة انقلبوا على وجوههم خسروا الدنيا والآخرة. وغايتهم يتوسعون في ذلك حتى يجعلوا قتال الكفرة رقتل الله وحتى يجعلوا أعيان الكفار والفجار والاثان من نفس الله وذاته، ويقولون ما في الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والمصنوع هو الصانع، وقد يقولون (لو شاء الله أطعمه) الى نحو ذلك من الافول والافعال التي هي شر من مقالات اليهود والصارى بل ومن مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوهما ممن ينكر الصانع الخالق البارئ رب العالمين أو يقولون إنه هو أو إنه حل فيه

وهؤلاء كفار بأصل الاسلام، وهو شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله، فان التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا فلا نجعل له ندا في الوهيته ولا شريكا ولا شفيعا. فأما توحيد الربوبية وهو الاقرار بأنه خالق كل شيء، فهذا قد قاه المشركون الذين قال الله فيهم (وما يؤمن أكثرهم بالله الا وهم مشركون) قال ابن عباس تسألهم من خلق السموات والارض؟ فيقولون «الله» وهم يعبدون غيره. وقال تعالى (ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله) (قل لمن الارض ومن فيها ان كنتم تعلمون) سيقولون لله قل أفلا تذكرون * قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم * سيقولون لله قل أفلا تفتنون * قل من يده مسكوت كل شيء * وهو بيمير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله قل فأنبي تسجدون)

قال كفار المشركون مقرون بأن الله خالق السموات والارض وليس في جميع الكفار من جعل لله شريكاً او ياله في ذاته وصفاته وأفعاله، هذا لم يقله أحد قط لا من المجوس الثنوية ولا من أهل التثليث ولا من الصابئة المشركين الذين يعبدون الكواكب والملائكة ولا من عباد الانبياء والصالحين ولا من عباد التماثيل والقبور وغيرهم فان جميع هؤلاء وان كانوا كفارا مشركين متنوعين في الشرك فهم يقررون بالرب الحق الذي ليس له مثل في ذاته وصفاته وجميع أفعاله ولكنهم مع هذا مشركون به في الوهيته بأن يعبدوا معه آلهة أخرى يتخذونها شركاء أو شفعاء— أو في ربوبيته بأن يجعلوا غيره رب الكائنات دونه مع اعترافهم بأنه رب ذلك الرب وخالق ذلك الخالق

وقد أرسل الله جميع الرسل وأنزل جميع الكتب بالتوحيد الذي هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحى اليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وقال تعالى (واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون؟) وقال تعالى (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة) وقال تعالى (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم * وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون)

وقد قالت الرسل كلهم مثل نوح زهود وصالح وغيرهم (أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون) فكل الرسل دعوا الى عبادة الله وحده لا شريك له والى طاعتهم والابتن بالرسول هو الاصل الثاني من أصلي الاسلام فمن لم يؤمن بأن هذا (١) رسول الله الى جميع العالمين وأنه يجب على جميع الخلق متابعتة وان الحلال ما أحله والمرام ما حرمة والدين ما شرعه فهو كافر مثل هؤلاء المناقضين، ونحوهم من يجوز الخروج عن دينه وشرعيته وطاعته اما عموما واما خصوصا ويجوز اعانة الكفار وفتحهم على افساد دينه وشرعته ويحتجون بما يفترونه أن أهل الصفة قالوه وانهم قالوا نحن مع الله من كان

(١) المناسب ان يقال : بان محمدا (ص)

٢٧٦ كثرة العبادة تجتمع مع الكفر ومع البدعة النار: ج ٤ م ٢٣

مع الله كنا معه ير بدون بذلك انقيقة الكونية دون الامر والحقيقة الدينية ويحتج بمثل هذا من ينصر الكفار والفجار ويخفرهم بهمة وقلبه وتوجهه من ذوي الفقر. ويعقدون مع هذا أنهم من أولياء الله وان الخروج عن الشريعة المحمدية سائغ لهم، وكل هذا ضلال وباطل وان كان لا يصحبه زهد وعبادة فهم في العبادة، مثل أولياءهم في الأجناد، فان لمره على دين خليله والمرء مع أحب هكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم وقد جعل الله المؤمنين بعضهم اولياء بعض والكافرين بعضهم أولياء بعض، وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقنال المارقين من الاسلام مع عبادتهم العظيمة الذين قال فيهم « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقرآته مع قراءتهم يقرؤن القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الاسلام كما يمرق السهم من الرمية أينما لقيتموهم فاقتلوهم فان في قتلهم أجر عند الله لمن قتلهم يوم القيامة لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد» وهؤلاء قاتلهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما خرجوا عن شريعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته وفارقوا جماعة المسلمين، فكيف بمن يعتقد ان اوّمين كانوا يالون النبي صلى الله عليه وسلم

ومثل هذا ما يرويه بعض هؤلاء المقتربين ان اهل الصفة سمعوا ما خاطب الله به رسوله ليلة المعراج وان الله أمره ان لا يعلم به أحدا، لما أصبح وجدهم يتحدثون به فأذكروا ذلك فقل الله له أنا أمرتك ان لا تعلم به احدا لكن أنا الله أعلمتكم - الى أمثل هذه الاكاذيب التي هي من اعظم الكفر وهي كذب واضح فان اهل الصفة لم يكونوا الا بالمدينة ولم يكن بمكة اهل صفة والمعراج إنما كان من مكة كما قال سبحانه وتعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله) ومما يشبه هذا من بعض الوجوه رواية بعضهم عن عمر رضي الله عنه انه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحدث هو وأبو بكر وكنت كلزنجي بينهما وهذا من الأفك الختلق، ثم إنهم مع هذا يحملون عمر الذي سمع كلام النبي صلى الله عليه وسلم وصديقه وهو أفضل الخلق بعد الصديق لم يفهم ذلك الكلام بل كان كلزنجي ويدعون أنهم سمعوه وعرفوه، ثم كل منهم يفسره بما يندعه من الضلالات

المنازل: ج ٤ م ٢٣ كفر الباطنية . تفضيل أهل الصفة على العشرة ٢٧٧

الكفرية التي يزعم أنها علم الاسرار والحقائق إما الاتحاد وإما تعطيل الشرائع ونحو ذلك مثلاً ما يدعي النصيرية والاسماعيلية والقرمطية والباطنية الثنوية والحماكية وغيرهم - من الضلالات المخالفة لدين الاسلام ما ينسبونه الى علي بن أبي طالب أو جعفر الصادق أو غيرها من أهل البيت كالبطاقة والهفت والجدول والجفر وملحمة بن عقب وغير ذلك من الاكاذيب المفتراة باتفاق جميع أهل المعرفة وكل هذا باطل، فانه لما كان لآل رسول الله صلى الله عليه وسلم به اتصال النسب والقرابة، والاولياء والصالحين منهم ومن غيرهم به اتصال الموالاة والمتابعة، صار كثير ممن يخالف دينه وشريعته وسنته يمويه باطله ويزخرفه بما يقتره على أهل بيته وأهل موالاته ومتابعته وصار كثير من الناس يغلو إمامي قوم من هؤلاء أو من هؤلاء حتى يتخذهم آلهة أو يقدم ما يضاف اليهم على شريعة النبي صلى الله عليه وسلم وسنته وحتى يخالف كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه السلف الطيب من أهل بيته ومن أهل الموالاة له والمتابعة وهذا كثير في أهل الضلال

(فصل) وأما تفضيل أهل الصفة على العشرة وغيرهم فخطأ وضلال بل خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر كما تواتر ذلك عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب موقوفاً ومرفوعاً وكما دل على ذلك الكتاب والسنة واتفق عليه سلف الامة وأئمة العلم والسنة وبعدها عثمان وعلي وكذلك سائر أهل الشورى مثل طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف وهؤلاء مع أبي عبيدة بن الجراح أمين هذه الامة ومع سعيد بن زيدم العشرة المشهود لهم بالجنة وقد قال الله تعالى في كتابه (لا يسئوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى) ففضل السابقين قبل فتح الحديبية الى الجهاد بأنفسهم وأموالهم على التابعين بعدهم وقال الله تعالى (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وقال تعالى (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان)

وقد ثبت في فضل البدرين ما تميزوا به علي وغيرهم وهؤلاء الذين فضاهم

٢٧٨ سماع المتصوفة والروايات المكذوبة له المنار: ج ٤ م ٤ ٢٤

الله ورسوله فمنهم من هو من اهل الصفة، والعشرة لم يكن فيهم من هو من اهل الصفة الا سعد بن أبي وقاص فقد قيل انه اقام بالصفة مرة، واما اكابر المهاجرين والانصار مثل الخلفاء الاربعة ومثل سعد بن معاذ واسيد بن الحضير وعباد بن بشر وابي ايوب الانصاري ومعاذ بن جبل وابي بن كعب ونحوهم لم يكونوا من اهل الصفة بل عام اهل الصفة ان كانوا من فقراء المهاجرين، والانصار كانوا في ديارهم ولم يكن احد ينذر لاهل الصفة ولا لغيرهم

﴿ فصل ﴾ واما سماع المسكاة والتصدية وهو الاجتماع لسماع القصائد الربانية سواء كان بكف او بقضيب او بدف او كان مع ذلك شبابة فهذا لم يفعله احد من الصحابة لا من اهل الصفة ولا من غيرهم ولا من التابعين بل القرون الثلاثة المفضلة التي قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم « خير القرون القرن الذي بعثت فيه ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم » لم يكن فيهم احد يجتمع على هذا السماع لا في الحجاز ولا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا مصر ولا خراسان ولا المغرب وانما كان السماع الذين يجتمعون عليه سماع القرآن وهو الذي كان الصحابة من اهل الصفة وغيرهم يجتمعون عليه فكان اصحاب محمد اذا اجتمعوا امرؤا واحدا منهم يقرأ والباقي يستمعون وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اهل الصفة وفيهم قاريء يقرأ فجلس معهم، وكان عمر بن الخطاب يقول لابي موسى يا ابا موسى ذكرنا ربنا فيقرأ وهم يستمعون وكل من تقل أنهم كان لهم حاد ينشد القصائد الربانية بصلاح القلوب أو أنهم لا أنشد بعض القصائد تواجدوا على ذلك أو أنهم مزقوا ثيابهم أو أن قائدا أنشدهم

قد اسنت حية الهوى كبدي فلا طيب لها ولا راق

الا الطيب الذي شفقت به فعنده رقتي وترياق

أو أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قال « ان الفقراء يدخلون الجنة قبل الاغنياء بنصف يوم » أنشدوا شعرا وتواجدوا عليه فكل هذا وأمثاله كذب مقترى وكذب مخلق باتفاق أهل الآفاق من أهل السلم وأهل الايمان لا ينازع في ذلك

١٧٩ المنار : ج ٤ / م ٢٣ أكاذيب المتصوفة في الأولياء

الا جاهل ضال وان كان قد ذكر في بعض الكتب شيء من ذلك فكأنه كذب
باتفاق أهل العلم والایمان فمنعوا ذلك لما رأوا من حاله من كمال الضلال
(فصل) وأما قوله (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي
يريدون وجهه) فهي عامة فيمن تناول هذا الوصف مثل الذين يصلون الفجر
والعصر في جماعة فانهم يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه سواء كانوا
من أهل الصفة أو غيرهم. أمر الله نبيه بالصبر مع عباد الله الصالحين الذين يريدون
وجهه وأن لا تلهو عيناك عنهم (تريد رتبة الحياة الدنيا) وهذه الآية في الكهف
وهي سورة مكية وكذلك الآية التي هي في سورة الانعام (ولا تطرد الذين
يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما
من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) (المتصوفة)
وقد روي أن هاتين الآيتين قرأتهما في المؤمن المستضعف لما طلب المستكبرون
أن يبعدهم النبي صلى الله عليه وسلم فهما الله تعالى عن طرد من يريد وجهه وان كان
مستضعفا ثم أمره بالصبر معهم وكان ذلك قبل الهجرة إلى المدينة وقبل وجود
الصفة لكن هي متناولة الكل من كان بهذا الوصف من أهل الصفة وغيرهم
والمقصود بذلك أن يكون مع المؤمنين المؤمنين الذين هم أولياء الله وان
كانوا فقراء ضعفاء فلا يتقدم أحد عهد الله تعالى بسلطانه وهاله ولا بدله وفقره
وانما يتقدم عنده بالایمان والعمل الصالح فهذه الله سبحانه وتعالى أن يطاع (١) أهل
الرفاسة والمال الذين يريدون ابعاد من كان ضعيفا أو فقيرا وأمره أن لا يطرد من
كان منهم يريد وجهه وأن يصبر نفسه معهم في الجماعة التي أمر فيها بالاجتماع
بهم كصلاة الفجر والعصر ولا يطع أمر الغافلين عن ذكر الله المتبعين لأهوائهم
(المتصوفة) (المتصوفة)

(١) لعل الاصل بفتح الله سبحانه وتعالى فيما ان يطع الخ بدليل ما عطف

عليه من قوله (وامرهم بالصلاة والجمعة) (المتصوفة) (المتصوفة)

سورة الفجر (المتصوفة) (المتصوفة)

٢٨٥ خطاب الزعيم أبي الكلام الأشكر الأنكازية المتأرجح ٢٤ م

الخطاب

الذي خاطب به المحكمة الأنكازية العالم العلامة الاستاذ أبو الكلام
إني قد كنت عازماً على أن لا أقدم إلى المحكمة بلاناماً، لانها مكان لا رجاء
لنا فيه، ولا طلب منه، ولا شكوى إليه، وإنما هي كمنعرج الطريق إلى المنزل
لا بد من قطعه للمابيل، ولذا نفقت فيه وقفة على كره مناء، والآن لدخولنا السجن توأ
إن الجمعية الوطنية وجمعية الخلافة وجمعية العلماء قد أجمعت تقديم بيان إلى
المحاكم، لا للدفاع بل لإعلام الأمة بالحقيقة، بيد أنني ما برحت أشير على الناس
بان يؤثروا الصمت على الكلام، وأن يقاطعوا المحاكم مقاطعة تامة. وذلك
لاني أرى أن كل من يقدم بيانا لتخص التهمة وكشف الحق - وإن كان
قصده به اطلاع الجمهور - لا يسلم من الظنة، إذ يجوز أن يكون في نفسه أدنى
هوى لتخص من العقاب، أو في أعماق قلبه أقل رجاء في عدل المحاكم. مع أن
سبيل «تارك التعاون» مستقيم نير، لا ينبغي أن توسمه الظنون والشبهات.

اليأس التام من القتل

إن «التعاون» نتيجة لليأس التام من الحالة الحاضرة، وهذا اليأس هو
الذي أوجأ الأمة إلى أن تهربها، وتبديل غيرها بما، فكان من يقاطع الحكومة
ويأني معاونتها، يعان بأنه يئس من عيها وحدها للحق، وأنه لا يعترف بها بل
يعدّها حكومة غاصبة جائرة وغير شرعية، ولهذا يود إسقاطها وتبديلها. أفعد
هذا يرجع القمري فينتظر منها أن تنصفه كحكومة عادلة صالحة للنقاء والدوام؟
وان غضضنا الطرف عن هذه الحقيقة الثابتة، فإن السعي للتبرئة من التهمة
ليس إلا فعلاً عبثاً وانكاراً للحقائق. إذ كل بصير يعلم أنه لا رجاء في المحاكم
أن تنصف وتعديل في الحالة الحاضرة، لا لان رجالها لا يحبون العدل، بل لانها
سائرة على نظام لا يستطيع معه حاكم أن ينصف أولئك الذين لا تريد الحكومة
نفسها أن تنصفهم



(٢٤ م) (٢٨٥) (٢٨٥)

وأي هنا أصرح بان خطاب « اللاتعاون » ليس مع الافراد والآحاد ، بل مع الحكومة ونظامها ومبادئها

موقف أصحاب الحق أمام المحاكم والقضاة ١

إن هذه الحالة مثل سائر حالات عصرنا ليست بفضة ، فالتاريخ شاهد على أنه كلما طغت القوات الحاكمة ورفعت السلاح في وجه الحرية والحق ، كانت المحاكم آلات مسخرة بأيديها تفنك بها كيف تشاء ، وليس هذا بمجيب ، فان المحاكم تملك قوة قضائية ، وتلك القوة يمكن استعمالها في العدل والظلم على سواء ، فهي في يد الحكومة العادلة أعظم وسيلة لإقامة العدل والحق . ويبد الحكومات للجائرة أفضح آلة للانتقام والجور ومقاومة الحق والاصلاح والتاريخ يدلنا على ان قاعات المحاكم كانت مسرح للفظاعة والظلم بعد ميادين القتال ، فكما أهرقت الدماء البريئة في ساحات الحروب ، حوكت النفوس الزكية في ايوانات المحاكم ، فشقت وصلبت وقتلت والقت في غياهب السجون . وليس هنالك عصبة صالحة محبة للحق من الانبياء والحكام والعلماء والصالحين ، إلا ونراها واقفة كالجناة والمجرمين في قاعات المحاكم امام القضاة . نعم ان ذكر الايام ومر المشي قد محاً كثيراً من مساويء العهد القديم . فلا يوجد الآن شيء من المحاكم الرومية للقرن الثاني المسيحي . ولا جمعيات التفتيش السرية (Inquisifon) التي كانت في القرون المتوسطة . ولكني لا استطيع الاعتراف بان عصرنا هذا قد نجح من تلك العوامل النفسية التي كانت تعمل في تلك المحاكم — حقاً ان تلك الابنية التي كانت مكامن للاسرار الرهيبة قد دكت دكاً . ولكن من ذا الذي يقدر ان يقلب تلك القلوب التي تكن فيها الاسرار الخفية لحب الذات والظلم ؟

مقام عجيب ولكنه عظيم ١

ان جدول مظالم المحاكم وفظائعها طويل عريض - تلك المظالم التي لم يفرغ

(المنار : ج ٤) (٣٦) (المجلد الرابع والعشرون)

٢٨٢ ترك مقاطعة المحكمة لاجل الاعتراف بالتهمة النار : ج ٢٣م٤

التاريخ الى الآن من البكاء منها - فترى فيه اسم المسيح (ص) الانسان الكامل الذي اوقف مع اللصوص في محكمة اجنبية . وسقراط الحكيم الذي اضطر الى شرب كأس السم و لانه كان اصدق رجل في بلاده . وكذا فلورنس غيليلو الذي لم يكذب مشاهداته العلمية لأنها كانت جنائية في عين القضاة والمحاكم - وصفت المسيح بالانسان الكامل لاني اعتقد انه انسان . ولكن الملايين من الناس يعتقدون انه فوق هذا - اذن ما اعجب قفص الجناة ! وما اعظم شأنه ! إنه موقف للصنفين معاً : الابرار والاشرار ! حتى انه كان لاثق بهذا الوجود العظيم !
حمداً وشكراً

واني اذ أتدبر التاريخ العظيم لهذا الموقف ، وأراني قد شرفت بالوقوف فيه ، يسبح روحي بحمد الله ويلهج لسأي بشكره من غير قصد مني ، وهو وحده يعلم ما أجده من الجذل والابتهاج ، اذ أحسبني في هذا القفص محسوداً للملوك والسلاطين العظام ، فاين لهم في قصورهم المريحة تلك المسرة والراحة التي يرقص لها قلبي في صدري ؟ وباليت الانسان الغافل والعاكف على هواه ، يشعر بنفحة منها ! واني أقول حقاً إنه لو أدركها الناس لتمنوا المشول في هذا المسكان ، ولتذروا الدور لاجله !

لم أخاطب المحكمة ؟

إني كنت عازماً على السكوت في المحكمة ولما أحضرت فيها ورأيت الحكومة تقدم في اثبات جرمي الخطبتين اللتين أقيمتا في بعض مجامع (كلكتا) وهما لا يحتويان على جميع الامور التي ما زلت أكررها في جميع خطبي ورسائلي ومقالاتي التي تعدو الحصر ، والتي ان قدمت كانت اتقع لمقصدها - علمت انها عاجزة حتى عن تهئية ذلك المستند الذي يعتبر في هذه الايام كافياً لانزال العقاب . مع شدة رغبتها وحرصها على سجنى - فغيرت قصدي وقلت ان العلة التي كانت مانعة من الكلام أصبحت موجبة له . فأردت أن أثبت بلساني

المنار: ج ٤، ص ٦٣، اعتراف الزعيم بأكثر ما اتهمته به الحكومة ٢٨٣

الأمر الذي لا يستطيع الحكومة اثباته مع علمها به وشكدها رغبتها في اثباته
وأنى أعلم أن قوانين المحاكم لا توجه علي، ولا تضطري إلى الاعتراف به من
تلقا نفسي، ولكن قانون الحقيقة فوق هذه القوانين الوضعية، وهو الذي يسوقني
إلى ما سأقوله، إذ ليس من الحق أن ندر شيئاً مستورا، لأن الخصم لا يستطيع إثباته
الاعتراف بالجناية، ما لم يثبتها كما يثبتها القاضي، وهذا مستبعد.

ان الاستبداد الذي ابتليت به الهند نوع من ذلك الاستبداد الذي يصيب
الأمر في طور ضعفها وهزبها، وهو من طبعه يفيض الحركة الوطنية والحركة والمطالبة
بالحقوق بغضا شديداً، لأنه يعلم أنها إذا نجحت سقطت قوته الظالمة والحقى وجوده
الفاخس، ولما من وجود يجب سقوط نفسه، وزواله مهما يكن زواله ضرورياً في
عين الحق والانصاف، فالتدافع بين الحرية والاستبداد «تتأخر البقاء» و«تزاحم
في الحياة» كل من الفريقين يجد ويكده للفوز والبقاء: الأمة تريد أن تنال حقها
المعصوب، والاستبداد يأنى عليها ولا يريد الترحيح عن مقامه، ولا تتربص
عليه، لأنه وإن كان وجوده خلافاً للحق لا يدافع عن نفسه وحياته، وليس
لنا أن ننكر مقتضيات الطبيعة، فنكالي سمي الخبير لبقائه، يسعى الشر أيضاً ومهما
يكن ملوماً في نفسه لا يلام على رغبته في الحياة

وقد بدأ التزاحم في الهند بين هاتين القوتين: الحرية والاستبداد — فليس
يبدع أن تكون الحرية والمطالبة بالحقوق جنانية في عين الاستبداد، وأن يكون
مهاربو وجوده الباطل جناة وأئمة وأهلاً للعقاب الشديد — فإدام الأمر كذلك
فاني أعلن على مسامح من المحكمة والحكومة باتي أنا قد ارتكبت هذه الجناية
ارتكاباً واقترافاً اقترافاً، وإن كانت الحكومة لا تعلم — وهي تعلم — فلتعلم
الآن أني من أولئك الجناة الذين بذروا بذور هذه الجناية في قلوب أمتهم
ووقفوا حياتهم على سقمها وتنميتها وتشجيرها، بل أني ولا فخر — أول مسلم في الهند
الهند دعا أمته من اثني عشرة سنة إلى هذه الجناية دعوة عامة، وحول وجهتها
في خلال ثلاث سنوات عن العبودية التي كانت الحكومة زينتها لها إلى الحرية

٢٨٤ تصريح الزعيم بظلم الحكومة ووجوب إسقاطها المنار: ج ٤ م ٢٣

التي قد أشرقت شمسها الآن وان تنكسف أبدا . فان كنت آثما في زعمها فلتعاقبني بما تشاء . فها أنا ذا معترف بالجناية بصدر وحب ولسان طلق ، غير جزع منها ولا نادم عليها . لأن هذا ما كنت أتوقعه وأعرفه من قبل .
وانى لا أنتظر من الحكومة إلا الغلظة والقسوة لاني وان ألفتها تدعي العصمة من الخطأ والزلل ولا تعترف بذنوبها . أعلم أنها ما ادعت أبدا أنها مثل المسيح في لينه وحنانه . فاذن كيف أنتظر منها أن تقبل أعدائها وتجهم كأصدقائها ؟
واعلم أنها لا تعاملهم إلا بذلك المعاملة التي نراها منها الآن ، والتي مازال الاستبداد يختارها للحق الحرية والحق وخنق أصحابه وحنانه - فالشدة والغلظة من الحكومة شيء طبيعي لا ينبغي لنا أن نشكو أو نعجب منه . بل على كل من الحزبين أن يعملوا على مكائبتهم حتى يفصل الله بينهما وهو خير الفاصلين
(ثم قال بعد هذا انه لم يقمض عليه لأجل الخطيئين اللتين قدمتا في المحكمة بل ليخالو للحكومة جوارك كما . كيلا يقاطع احتفال ولي عهد انكلترا عند قدومه إليها . وتضعف الحركة الوطنية والاسلامية . ثم ذكر أشد ما في الخطيئين وهو ما يلي) :

أشد ما في الخطيئين

ان الحكومة التي تأسست على الظلم لظالمه وهي إما أن تتوب من ذنوبها وفضائلها وتخضع للحق وأما أن تزول من الوجود .
« أما الناس ! ان كنتم تتألمون لآخوانكم الذين قبض عليهم فعلى كل منكم أن يبت في نفسه الآن : هل هو راض بان تظل هذه الحكومة قائمة في بلادنا كما كانت عند القبض على اخواننا ؟
اذا كنتم تريدون تحرير بلادكم من رق العبودية فطريقته واحدة وهي أن لا تدعوا فرصة لأعدائكم المكارين لاستعمال أسلحتهم القتالة التي عندهم : سير حساب ... »

إن بعض الناس يظن أن الخطيب إذا فاه بمثل هذه الأقوال يحتاج
لنفسه ، والأفانه بالحقيقة لا يقصد بها شيئاً ، ولكني أيها الاخوان أعتقد أنه
ليس فيكم أحد يحسب أولئك الذين يتعبون لاجلكم خوافين من السجن أو
الاعتقال ، أو مخلصين لهذه الحكومة الظالمة في نفسها وقوتها بقولهم ان أعمالنا
يجب أن تكون بالامن والنظام — لا ، لا ، ان هذا لا يتصور أبداً ، بل الحق
الذي لا مرأ فيه أنهم يقولون ذلك لانهم يريدون نجاحكم متوقفا على الامن والنظام
اذ أنتم لا تملكون تلك الآلات الجهنمية التي تتساح بها هذه الحكومة ، وانما
الاسلحة التي لديكم هي الايمان والضمير وقوة التضحية — فاستعملوها في وجهها
تنجحون . ، والا فلا نجاح لكم بالاسلحة المادية »

أيها الناس ! ان كنتم تريدون أن تعرقلوا الحكومة برهة من الزمان فطرقه
كثيرة ، ولو كنت لا سمح الله من المحبين للحكومة لبحث بها ودعوتكم اليها
ولكن الذي أريده منكم هو (الحرب الحرب) الحرب التي لا تنتهي في يوم واحد
بل تمتد الى يوم الفصل ، وما أدراكم ماهوم الفصل ؟ اليوم الذي إما أن تمحى فيه
هذه الحكومة الجائرة واما ان تفي ثلاثمائة مليون من النفوس البشرية !

الاعتراف فوق الاعتراف

ان كانت هذه التصريحات (جنائية) فاني معترف بأن قلبي قد اشتغل بها
ولساني نطق بها وانى أنا الذي صرحت بها أمام عشرات الالوف من الناس ،
ليس في هاتين الخطبتين فقط بل في خطب أكثر من أن تعد وتحصى ، بل ما
برحت أقول أكبر وأشد منها ، ذلك بأنى أعتقد أن الصدع بها واجب علي ولن
يتمنى من أداء الواجب كونه معاقبا عليه بقانون ١٢٤ من القوانين الهندية (١)
بل انى لاجدني الآن مدفوعا الى التصريح بها أمام المحكمة ولا أزال قائلاً بها

(١) أن مادة ١٢٤ هذه مثل المادة ١٥١ من القوانين المصرية الخاصة بالذين
يحرزون على كراهية الحكومة باي واسطة من وسائل النشر أو الصور أو الكلام
أو الخطابة الخ (المترجم)

مادام لساني بين أسناني ، وروحي في حثاني - وإن لم أفعل ذلك أكن ظالماً
لنفسى وعاصياً عند الله وعند الناس أجمعين !
الحكومة الحاضرة « ظالمة ! »

نعم انى قلت « ان الحكومه الحاضرة ظالمة » وان لم أقل هذا فماذا اقول
يا ترى ؟ وأيم الله انى لا عجب كيف يطلب منى أن أسمي شيئاً بغير اسمه وأن
أدعو الاسود بالابيض ؟
ان ما قلته هو اهون ما يجب ان يقال في هذا الباب ، اذ لا اعلم حقيقة
ملفوظة اخف منه

لا ريب انى ما زلت اقول انه ليس الا ان تتوب الحكومة من آثامها وتغير
خطتها وترجع عن ظلمها فان لم تستطعه فبعدها لها وسحقاً ! وليت شعري ماذا
يقال غير هذا ؟ الشر اما ان يصلح واما ان يزول ، وهل بينهما طريق آخر ؟ ان
هذه الحقيقة قديمة العهد طويلة العمر لا يضاھيها في الكبر الا الجبال والبحار
وانى ما دمت اعتقد ان هذه الحكومة من اولها الى آخرها شر على شر فكيف
استطيع ان ادعو لها واقول : دومي ولا تصالحي
لماذا أعتقد هذا ؟

لماذا اعتقدته انا وملايين من ابناء واطي واخوان ديني ؟ الجواب اصبح الآن
واضحاً جلياً حتى يصح ان يعبر عنه بقول الشاعر الانجليزي (ملتون) : انه بعد
الشمس اوضح شيء واجلى محسوس . على انى اصرح ههنا بانى اعتقد ذلك لانى
هندي ولانى مسلم ولانى انسان

الحكم الشخصي ظلم بالذات

انى أعتقد أن الحرية حق طبيعى لكل انسان ولكل أمة ، فطرة الله التي
فطر الناس عليها - وليس لشخص أو حكومة أن تستعبد عباد الله وتتخذهم خولا -
وسم الاستعباد والرق بأى اسم شئت ، غير أنه على كل حال استعباد ورق ،

المنار : ج ٢٤ ص ٢٨٧ كون الاستبداد والسلطان الاجنبي ظلما باطلاق ٢٨٧

ومشيئة الله وباموسه بمقتبه وبمقتبه ، واني لاجله لا اعترف بالحكومة الهندية الهندية ، بل اعدتها حكومة غير شرعية ، لانه مستبده طاغية ، استعبدت البلاد وفهرت العباد ، دانت الشرائع وخانت المواثيق ، ليستغفها الشعب وعجزها الحق ، فهي معذومة في نظر الامة وان كانت موجودة بقوة السلاح ، وارى واجباي الدينية والوطنية والانسانية تطالبني بان احرر بني جلدي من رقها وعبوديتها الشائنة .

ولا يفاطم كلامي « بالاصلاحات الادارية » و « الترقى التدريجي » كلمات خطتها بالحكومة وزخرقتها المخلدع به البنية والحق . **أنا أنا فلا أخدع بها ،** إذ الحرية في اعتقادي حق طبيعي للانسان ، وليس لاحد أن يحدد ويقسم في تأدية الحقوق . وان مثل الذي يقول أن أمة تنال حريتها تدريجيا كمثل الذي يقول للدائن يرد اليك الدين انفسطام قسطا ، نعم ان لم يستطع أخذ دفعة واحدة يضطر الى قبوله بالاقساط . **لا يمكن لا يسقط به حتى الاخذ مرة واحدة** .

« الاصلاحات » وما هي « الاصلاحات » ؟ وان هي الا كما قال الفيلسوف الروسي « توستوي » : **أن أبيع المسجونين انتخاب مساجلهم بالاصوات ، فانهم لا يصيرون به احرارا** .

الحكومة الحاضرة حسنة أو قبيحة ؟ سؤال ثانوي ، أما السؤال الاساسي فهو : هل وجودها حق وشرعي ؟ فاني اعتقد ان مثل هذه الحكومة الانجليزية المتسلطة ، باعتبار اصل خلقها غير شرعية ، لان نفس وجودها ظلم وشر ، فهي لولم ترتكب جميع تلك القذائع التي ارتكبتها بهذه الكثرة ، لكانت في اعتقادي ظالمة وجائرة ، ويكفي لقبها وشنعها انها موجودة — نعم نعرف بحسنتها ان كانت لها حسنات ، ولكن يظل وجودها على كل حال ظلما وغير شرعي — ومثاله ان لو تسلط احد على بيتنا وأدارها إدارة حسنة وعمل أعمالا صالحة ، فانعمته الحسنات لا يصير تسلطه حقا وشرعيا .

ان الشر يوضح ان يفت وبقتهم بالكلم والكيف ، فبقول « كم هو وكيف

هو؟» ولكن لا يصبح نعمته وتقسيمه بالحسن والقبیح ، فلا تقول «أحسن هو أم قبيح؟» ثم يقال «سرقه قبيحة» و «سرقه أقبح» ولكن لا يقال «سرقه حسنة» و «سرقه قبيحة» وهكذا الاستبداد ، فاني لا أستطيع ان أتصوره حسنا وشرعا في حال من الأحوال ، لانه بذاته ووجوده قبيح وشر وغير شرعي ثم ربما يوجد نوع من الاستبداد أخف وطأة وأقل ظاهرا وأكثر ليانا من غيره ، ولكن الاستبداد الذي دم الهند لم يقف عند قبحه الخلقى ، بل مازال يكتسب السيئات فرق السيئات ، والمنكرات تلو المنكرات ، ظلمات بعضها فوق بعض ، فأذن كيف لا يعلن ظلمه ولا يشهر قبحه ، ولا يشدد النكير عليه ؟ للكلام بقية

الله يتقرب بي بسياسة سعيد كاشف حقائق العرب في القرنين ١٦ و١٧
 نأية بمطالعة كتاب «أثار العرب في سويسرة» كالمعتاد كما فعلت
 شايمة راجحة من قبلتي في القرنين ١٦ و١٧ ، شأنه شأنه زميلتي راجحة
 عطرة نارنجية من قلم الامير شكيب أرسلان الشهير
 «أثار العرب في سويسرة»

زيد كما لم نزل للعرب آثار كثيرة في سويسرة منها برج الشارازين (لا تخفى) أن
 اللفظة «شارازين» كان يطلقها الأفرنج على المسلمين في القرون الوسطى واختلفوا
 كثيرا في أصل هذه الكلمة وكيفية اشتقاقها وقرنت في رحلة ابن بطوطة أن
 الملك الرومي الذي كان في القسطنطينية بعثه هل أنت عمرا كانوا ؟ قال وهذا
 اللفظ معناه المسلم بلغتهم) وهو برج بقرب بلدة فيفاي البحوار (مونتورا) من
 مقاطعة (الوزان) ومما يندب اليهم مغارة وكفت في الجهات لوستنس (الوزان)
 وقال بعض المؤرخين ممن نقل عنه كرس : من المحقق أن حضائب العرب
 زحفوا إلى (الجورة) والبحيرة جنيف وانه لم يوجد من مؤرخين من يذكر دخولهم
 (الوزان) (الجورة) (البحيرة) (جنيف)



الى روراسيه) وكانت كتبنا صامتة عن ذلك — فالتواتر ورواية الاخلاف عن الاسلاف متصلة بالسند تقومان مقام ذلك ، وكثير من أسماء هذه البلاد تدل على وقوع هذه الغزاة

وعلى نصف ساعة من دقلية في الجبل من جهة الشمال الغربي على مقربة من الطريق الروماني المؤدي من دليمون الى آجوا يوجد مضيق بين جندلين اسمه كهف (الساغازين) . وشيوخ دقلية يروون عن آباءهم واجدادهم خلفاء عن سلف أن هذا المكان كانت أقامت فيه شردمة من (الساغازين) كانوا يوردون جمالهم (يظهر أنه أينما تكون العرب تكون الجمال ولو في قلب أوربا) ماء سورن بقرب كورتتل — وهذا اسم طريق روماني مهجور الآن ثم على أحد صنخور غار الساغازين عدد ٢٣ منقور نقرا غريبا بأرقام عربية ولا يعرف السبب في نقر هذا العدد خاصة لانقطاع سند التواتر وعدم وجود تاريخ لذلك وإنما المعروف أن العرب كانوا مقيمين هناك دركا . ثم انه بقرب روسميرزون تجاه جبل شپوت يوجد طريق اسمه طريق الساغازين

ثم انه يوجد في بلاد البيامون ووادي ساس في الجبل طريقان أحدهما يمر من فور كتتل مخترقا ممر أنترونه والثاني يمر من مونتومورو أي جبل المورو — وهو المسلم المغربي في عرف الافرنج — وكل من المضيقين كان الى سنة ١٤٤٠ يقال له الممر القديم ويقول فرديناند كار نقلا عن المؤرخين انه مما لا يجوز أن ننساه أن المعاهدة التي عقدها الملك هوغ كونت بروفانس مع العرب كان من جملة شروطها سد جميع المضائق والثيايا الاثنية سان برنار فقط ، فلذلك ترى هناك محلا اسمه « الماغل » وهو بدون شك محطة بريدية ، وتجد في وادي ساس مكانا يسمى « الألابن » وهو « العين » وهناك ماء على الطريق في أعلى الوادي كما أن في شرقي الوادي عين ماء اسمها Eienapl أي عين الالب

وفي غربي وادي ساس محل اسمه ميشابل وهو حسبما يظن الاستاذ هيتسيف محرف عن « مشبل » أي اللبوة التي معها اشبالها بدليل أن هناك غربي (المنار: ج ٤) (٣٧) (المجلد الرابع والمشرون)

مهرسيميلون جبلا اسمه جبل الاسد . ونحن نظن أن الاسم هو مشابل كما يلفظونه الآن لامشبل ، وهو جمع مشبل اسم مكان كقولك مأسدة ، أو هو مشابيل جمع مشبول ، ومكان مشبول كثير الاشبال

ومن أكثر الاشياء في تلك الجهات التي جال فيها العرب اسم « مورو » الذي هو كما تقدم اسم المغربي عند الافرنج لان الرومان كانوا يسمون المغرب الاقصى « موريتانيه » فن ذلك جبل مورو الذي عند فرا كسينة وعليه قصر من آثار العرب ويوجد ممر اسمه موروباس في ناحية ما كوزناغه في الپيامول . كذلك في وادي يقال له وادي انزا (وامله وادي العنزة) محل يقال له « سيبا دلورو » أي قنة الممرابي وهو الى الشمال من بريسنون وفي جبل سان برنارغر بي الدير الشهير قنة شاهقة اسمها مونتمور وما عليه اسم « سارازين » شيء لا يكاد يحصى ، ذكر المسيو ادوارد كارك في تاريخ ولاية « فرانش كوتته » بفرنسة أن الاسماء المضافة الى سارازين كثيرة في تلك الولاية قال : عندنا خمسة كهوف يسمي كل واحد منها بكهف السارازين وجسران اسم كل منهما جسر السارازين . وثلاثة قصور كل منها يقال له قصر السارازين . وطريقان كل منها منسوب الى السارازين . وسد طاحون منسوب الى السارازين . وواد صغير يسمونه وادي السارازين . وجندلان كپيران كل منها يقال له صخر السارازين . وباب يرفع ويخفض من آثار السارازين ، وقريه اسمها ساراز . وهناك أيضا حائط السارازين ومعسكر السارازين الخ وأمثال هذه الاسماء يجدها الانسان في مقاطعة بريس وفي الليونه فن ليون الى حدود فرنسة الجنوبية تكثر الابواب التي ترفع وتخط امام القلاع وكلها منسوبة الى السارازين

ويقول هؤلاء المؤرخون الذين أثرتنا عنهم ما تقدم من تاريخ العرب في سويسرة انه كان للعرب قدرة بالغة على البناء وتشيد الابراج وتحصينها واحكام اقفالها وقد تركوا آثارا بديعة مدهشة ففي ايطالية وغربي سويسرة لاتزال جدران كثيرة مبنية بالحجارة الكبرى من بناء العرب ، وفي كل بناء تركوه ظهر أنهم أهل هندسة وقوة حيلة يعجب بها كل من تأملها فتركوا بهذه الآثار ذكرا عظيما بين الاهالي

المنار: ج ٤ م ٢٤ النقود العربية في سويسرة والمنسوجات العربية ٢٩١

ثم انه قد وجدت في سويسرة مسكوكات كثيرة عربية واكثرها من مسكوكات الامم في افريقية منها ضرب سنة ١٦٩٩ للهجرة ومنها ضرب ١٨٢ للهجرة واكثرها من عصر هرون الرشيد وقسم منها مضروب في القيروان ، ويظن أن اكثر هذه النقود وصلت الى سويسرة بواسطة النورمانديين وكذلك وجدت في بلدة فودون من سويسرة مسكوكات منها من سنة ١٧٠ للهجرة مضروب في افريقية ومنها ضرب اسماعيل بن احمد في أيام الخليفة المعتضد سنة ٢٨٣ للهجرة ومنها ضرب في بغداد سنة ٣٩١ هجرية مكتوب على بعضها من الوجه الواحد « لا إله الا الله وحده لا شريك له . ركن الدولة أبو علي بويه . ومن الوجه الآخر : باسم الله قد ضرب هذا النظم في مدينة السلام عام ثلاث مائة وأربع وستين . ووجد على بعضها : محمد رسول الله ، الطائع لله الملك العادل عضد الدولة أبو شجاع . ويظن أن هذه المسكوكات وصلت بواسطة الحروب الصليبية أو عن طريق التجارة وما وجد من آثار العرب في سويسرة ثوب حريري مطرز في دبر بقر (شور) يستعمله القسوس في القداس عليه كتابات عربية مطرزة بالقصب ولا شك أنه قيل أن بصير ثوبا كسبيا كان خامة ملوكة أو حلة لأحد الأمراء وقد أتى المسيو مانستر دوساسي في كتابه المنسحب من تأليف العرب في الصفحة ٣٠٥ على بحث دقيق يتعلق بهذه المنسوجات العربية الفاحرة فقال ما ترجمته

« عرفنا منسوجات كثيرة من هذا النوع الذي يسميه ابن خلدون بالطراز منها المعطف الذي كان يلبسه قيصر المانية عند تمويجهم فهذا الرداء عليه كتابات عربية منسوجة بخيوط ذهبية وقد قرأها وترجمها المسيو بيستن فظهر أنه نسج في بلرم في دولة الملك روجر (والعرب يقولون رجار) سنة ٥٢٨ هجرية أي ١١٣٣ ميلادية ونجزم بأنه في أيام رجار لان الكتابات ليس فيها شيء من آثار الدين الاسلامي . ومنها قطعة حريرية مطرزة بالذهب مخروطة في خزانه ذخائر كنيسة (نوتردام) الكبرى بباريز بديعة الصنع مكتوب عليها اسم الخليفة الحاكم بأمر الله المتوفى سنة ٤١١ للهجرة . ثم قطعة ثالثة شبيهة في النقشة بالثانية وجدت في صرب

٢٩٢ الانتداب العربي في أوربة والأوربي في العرب المنارج ٤ م ٤٤

بدير سان جرمان المروج عليها كامتنان عربيتان مكررتان مرارا . كذلك في مؤلف ظهر على آثار بلرم باللغة الايطالية طبع في نابلي سنة ١٨١٤ مذكورة كتابة عربية وجدت على اكام القميص الذي وجد في ضريح الامبراطور فريدريك الثاني المتوفى في ١٣ ديسمبر سنة ١٢٥٠ كذلك يذكر المسيو (دومور) سجادة عليها كتابة عربية نسجت في مصر في زمان الخليفة المستعلي بالله وذلك يكون بين سنة ١٠٩٤ و ١١٠١ للميلاد وهذه السجادة هي في خزانة آثار الفاتيكان الآن (أي في زمان دسامي وهذا عاش بين سنة ١٧٥٨ و سنة ١٨٣٨)

قد نقلنا كثيرا من هذا التاريخ عن المسيور رينوالفرنسي وهو من المستشرقين المشهورين كان عضوا للمجمع الملكي للآثار والآداب وأحد حفظة الكتب الشرقية المخطوطة في مكتبة باريز الملوكية وتأليفه المسمى غارات العرب في جنوبي فرنسا وفي البيامون (شمال ايطالية) وفي سويسرة طبع بباريز سنة ١٨٣٦ وقد طبعنا منه نسخة في مكتبة منيخ عاصمة البافيار وذلك سنة ١٩٢٠

وأما المؤرخ الالماني الذي اعتمد عليه (فرديناند ككر) فهو (ايودبراند) المؤرخ الشهير القديم العهد ولد سنة ٩٢٢ في لومباردية من أصل شريف ونشأ في بلاط الملك هوغ المار الذكر في بافيار سنة ٩٤٥ وعندما نفي الملك هوغ دخل (ايودبراند) في خدمة (برانجر) خلفه وقد سفر لبرانجر هذا الى ملك القسطنطينية وكانت وفاته سنة ٩٧٠ والف كتابين باللاتينية أحدهما اسمه «معالي الامبراطور أوتون الكبير» والثاني اسمه «سياحتي الى القسطنطينية» ملاه هزوا بدولة بيزنطية وصنف كتابا اسمه «الانتقام» كله نكات ونوادير على أبناء عصره . وفي زمانه كانت وقائع العرب في سويسرة

هذا ما اتصل اليه علمنا من تاريخ اقامة العرب بسويسرة ، أو بالاحرى «انتداب» العرب لادارة تلك البلاد في القرن العاشر . فان قيل انك تعرض بما تسميه دول الحلفاء اليوم انتدابا على سورية وفلسطين والعراق وهذا لا يشبه ذلك أجبنا أنه لا يوجد أدنى فرق بين الانتدابين ، فإذا كان العرب سفكوا دماء بسويسرة

فهو ولا شك أقل جدا مما سفنكه الحلفاء في سورية والعراق واذا كان أخذوا جماعة بثأر واحد فالحلفاء لم يتوقفوا دقيقة واحدة عن تدمير قرى بنامها ورعى القنابر الديناميتية على النساء والاطفال والعاجزين وحصد رؤوس الالوف لاجل الانتقام من عمل رجل واحد أو عصابة مؤلفة من بضعة رجال وان قيل ان العرب في سويسرة سلبوا ونهبوا فهل اذا تأمل المنيصف ادارة الحلفاء في البلاد الشرقية التي احتلوها وما جمعوه منها من الذهب وما وزعوا من الاوراق المالية بدون ضمان وما حملوا الاهلين من المغارم وما استأثروا لانفسهم من معادن البلاد وأصناف مرافقها يجد شيئا غير السلب والنهب ؟ وزد على ذلك شيئا وهو أن العرب لم يخدعوا أهل سويسرة في القرون الوسطى بقولهم أنهم حلفاؤهم وانهم إنما جاؤهم لتحريرهم من رق الاجانب حتى اذا انكشف الغطاء عرفوا انها خدعة وظهرت الذئاب من تحت أصواف الحملان كلا كان عمل العرب في سويسرة أشرف وأبعد عن اللؤم ولم يكونوا مع ذلك دولا عظاما بل شردمة صمالك لا يعيبيهم ما يعيب الدول العظام (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) شكيب أرسلان

في ١٥ ابريل سنة ١٩٢٢

(المنار) إننا نود لو يكون للقراء من العبيرة هذه الاثارة من تاريخهم ماهو في نظرنا أهم من المقارنة التي بختمها بها الامير الكاتب مراعاة لمقتضى الحال . وهي المقارنة بين أحوال الامة في طور حياتها واقبالها ، وطور ضعفها وادبارها . تتقاذف الامواج برهط من صمالك العرب لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين فتلقبيهم بسواحل بلاد لا يشاركمم أهلها في لغة ولا دين ، ولا تربطهم معرفة ولا عهد ، فيكون من أمرهم وأمر شرادم تتبعهم ما سنخرجه لنا الكاتب من أسفارتوارينهم من عزة ومنعة ، وتمكن في الارض ، وقنال أو اجارة للامراء والملوك ، وفرض الضرائب والمكوس ، واقامة للصروح والحصون ، - ثم يكون من أمر هذه الامة أن يذل ألوف الالوف منيهم في عقر دارهم ، ويسلمون قيادهم فيها لاعدائهم

باختيارهم ، حتى يكون من مثل أمير الحجاز تلك البلاد المقدسة التي تحترمها الدول الكبرى ولا تدنو منها بسوء أن يقترح باختياره على الدولة الانكليزية أن تنتزع البلاد العربية حتى المقدسة من الترك وتجعلها تحت حمايتها - وأن يكون هذا الاقتراح في الوقت الذي كانت فيه هذه الدرّة تتوقع محو اسمها من الدول العظمى بقوة الحلف الالمانى التركي حتى لو أجمع العرب أمرهم واقترحوا عليها الاعتراف باستقلالهم المطلق ومساعدتهم عليه ولو في مقابلة عدم مساعدة الترك عليها - فضلاء عن مساعدتها على الترك - لقبولوا شاكرين (فاعتبروا يا أولي الابصار)

باب المراسلة والمناظرة

جاءتنا الرسالة الآتية في مسألة تسويد النبي (ص) في العبادات المشروعة ومسألة التوسل فنشرها مع الوعد بنشر ما يجيئنا من رد عليها تراعى فيه آداب المناظرة

(إمطاة اللثام ، عما علق بأذهان بعض المنتسبين الى العلم من الاوهام)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على محمد وعلى آله الهادين المرشدين « أما بعد » فانا نحرر هذه الرسالة قياما بما أوجبه « الدين النصيحة » في الكشف عن مسألتين خلط فيهما بعض من ينتسب للعلم (الأولى) راجعة الى الاحكام (والثانية) راجعة الى المقائد

موضوع الاولى (تسويد) النبي صلى الله عليه وسلم وقضاؤنا فيها أن من أتى بها في الصلاة أو في الاذان أو في دعاء مأثور عن النبي صلى الله عليه وسلم على أن تكون من شرع الله ودينه فهو مبتدع ، وفي الاوليين مبطله لهما ، وفي الثالث مكروهة كراهة تحريم وقد رأينا أن يجري على ما كان عليه المهتدون الاولون في الارشاد فنقدم الأدلة على هذه الامور الثلاثة . التسويد في الصلاة

المنار ج ٤ م ٢٤ عرض التسويد في العبادات على الأداة الأربعة ٢٩٥

وما بعدها تطبيقاً للفروع على الأصول وإن كانت أحوال المناظرة وقوانينها تقضي على المثبت بأقامتها لا علينا كما هو معروف عند الأسرليين وسواهم إن ثبتت لامر هو المدعي المطالب بأقامة الأداة على دعواه أما الثاني فيكفي أن يقول لم يرد ونحوه فنقول :

إن مرجع الأحكام إلى واحد من أربعة أمور أو خمسة على الخلاف في الاستحسان والمصالح المرسلات (١) كتاب الله (٢) صحيح السنة أو حسناتها أو ضعيفها فيما يتبع العبادة المعروفة عندهم بفضائل الأعمال الخالي عن ورود شيء فيه من النوعين الأولين (٣) الإجماع بأنواعه ولا سيما الثابت عن الصحابة (٤) القياس الصحيح فيما لا نص فيه « دح الاستحسان والمصالح المرسلات » أما الكتاب فلا تعرض لما فيه إذ لم يذكر اسم النبي صلى الله عليه وسلم إلا مجرداً عنها وأما السنة فهي نافذة لما كان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم المدكورة بعد التشهد على اختلاف الروايات فيها حال تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم إماماً للصحابة خالية من تسويده، وكل من الأذان والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم توقيفي ثابت بعد كتابته ولم يذهب أحد من الأربعة ولا غيرهم من علماء المسلمين منقادهم وناصريهم إلى جواز ذكرها في الأذان ولا في الإقامة، وأما بعد التشهد قال كثير من أو لا يكرهون على عدم جوازها كما سيأتي بيانه بعد منصلاً لا يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم تركها تواضعاً — فمما لو وجبت أو شرعت ولو استحباباً أو جوازاً لوجب على النبي (ص) تبليغها أو جاز والالم يؤد وظيفة البلاغ كما أمره الله تعالى بقوله (بالغ ما أنزل إليك من ربك) الآية خصوصاً وأنه في مقام البيان بعد سؤال الصحابة (رض) عن كيفية الصلاة عليه المشروعة بقوله (إن الله وملائكته) الآية . رواد مسلم وغيره . وإيضاً فهي مزاولة لقوله (ص) « صلوا كما رأيتموني أصلي » رواه البخاري ولقد فهموا رضي الله عنهم ما أرادهم ونعم ما فهموا، ولذلك استمعوا عن الأتيان بها ولو كانت غير مبطلة فضلاً عن كونها مندوبة كما يزعم البعيد عن معنى كونه (ص) مشرعاً وكونهم محتلين كما فهمهم

٢٩٦ عرض التسويد في العبادات على الأدلة الأربعة المنار: ج٤م٤م٤

الاتيان بها وهم أفضل الامة وأكثرها أدبا وقدرة لمن بعدهم الى يوم القيامة وان اتفاههم على عدم الاتيان بها من غير انكار أحد منهم على أحد مع ما هو معروف عنهم من اكاره (ص) واجلاله هو أبلغ اجماع على عدم الاتيان هذا وقد روى النسائي عن عبد الله بن الشيخير (رض) أنه قال انطلقت في وفد من بني عامر الى رسول الله (ص) فقلنا أنت سيدنا فقال رسول الله (ص) «السيد الله» قلنا وأعظمنا وأفضانا قال «قولوا بقولكم أو بعض قولكم أنا محمد عبد الله ورسوله ما أحب أن ترفعوني فوق منزلي التي رفعتني الله عز وجل» فهذا الحديث صريح في نفيها من وجهين الاول دلالة الفحوى فانها أحدى طرق القصر وذلك قوله السيد الله فانها جملة معرفة الطرفين مفيدة للحصر ولهذا وقع الرد بها في القرآن ردا على الحصر بانما في قوله تعالى: ألا إنهم هم المفسدون» رداً لقولهم (انما نحن مصاحون) وأمثال هذا كثير: الوجه الثاني بالمنطوق وهو قوله (ص) ما أحب أن ترفعوني الخ ومنزله بالحصر «محمد رسول الله» وقوله (وما محمد الا رسول) وأمثال هذا

فقد تبين من هذا أن كلا من الكتاب والسنة والاجماع يمنع الاتيان بها ولا يجترىء مسلم على القول بان الصحابة (رض) اجتمعوا على منكر وهو ترك شيء من الدين، ويهديهم اهتدى النابعون لهم باحسان فمن بعدهم حتى دب الفساد في المسلمين، وغابت الاهواء على أئمة الدين، فجاءوا بالاستحسان والمصالح المرسله فزلزلوا سلطان الدين من النفوس (١) حتى صار لا يسمع الا قول فلان وفلان وصار الدين وضعاً فكريباً لا وضعاً الهياً

وأما القياس فهو بنفيها أشبه وان لم تسكن اليه حاجة بعد النصوص لانه انما يستدل به فيما لا نص فيه وقد قدمنا النصوص من الكتاب والسنة والاجماع.

(١) المنار: ان مراعاة المصالح المرسله في الاحكام الشرعية قال بها الامام مالك وهو عنده خاصة بالمعاملات القضائية والسياسية دون العبادات التي جعل مدار اثباتها على الاتباع المحض وهو الحق

المنار: ج ٤ م ٢٤ هل تبطل الصلاة بتسويد النبي (ص) ٢٩٧

ومع ذلك فهو قاطع في نفيها وانورد على ذلك بعض الامثلة: لا يجهل أحد أن أفضل ما ينطق به اللسان هو القرآن الكريم وقد أجمعوا على أنه لو أتى به في ركوعه أو سجوده كان مخافة لاسنة وقد روى مسلم في صحيحه ان رسول الله (ص) رفع سجدته حبرته في مرضه الذي مات فيه فاشرف على الصحابة وهم متأهبون للصلاة فقال: نهيت أن قرأ القرآن راكعاً أو ساجداً « ولا يقال انه نهى عنه لاطئة الركوع والسجود لان كثيره وقليله سواء في النهي ولانه لو أطالهما بالتسبيح بتقدرة سورة البقرة ولا سيما في النوفل لما بطأت صلاته، فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قرأ في ركعة واحدة بقرة ثم النساء ثم آل عمران ثم كان سجوده قريباً من ركوعه المذكور « رواه مسلم . فالسيادة التي ليست بذكر ولم ترد في شيء مما تقدم من الأدلة ولي بالمنع

مثال آخر: قال الامام النووي في شرحه حديث كيفية تعليم النبي (ص) للصحابة (رض) أن يصلوا عليه ما حاصله: ان قول القائل في الصلاة ورحمت قبل واركعت أو بعدها غير جائز وإن وردت في حديث غريب لان العبادة لا يؤخذ فيها الا بالحديث الصحيح أو الحسن الخالي عن علة كالغربة ونحوها اهـ فالسيادة أولى بالمنع لعدم ورودها ولا في حديث موضوع بل ورد النهي عنها كما تقدم في حديث النسائي فهي إحداث محض في الدين (١) مردودة على محدثها،

(١) صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد (ص) وشرا الامور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار »

وقد عرف الامام الشافعي رضي الله عنه البدعة بما نصه (ما أحدث وخالف كتاباً أو سنة أو اجماً أو ترواً فهو البدعة الضلالة) وقد بينا أن تسوية النبي (ص) في الصلاة والأذان والدعاء المأثور لم يرد في واحد من الاربعة التي ذكرها الشافعي في تعريف البدعة اهـ من حاشية الاصل

(المجلد الرابع والعشرون)

(٣٨)

(المنار: ج ٤ م ٢٤)

عليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي رواية. من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» مسلم عن عائشة (١)

هذا ما يتعلق بها من حيث الاصول الاربعة المعول عليها . ولنرجع اليها من حيث الفروع فنقول : مذهب الشافعي أن كل كلام أجنبي أي غير مشروع مبطل للصلاة ولو حرفاً مفهماً أو حرفين وان لم يفهما . وقد تبين مما تقدم أنها كلام أجنبي بالمعنى المذكور والقول بالبطلان ليس بدعاً منا بل هو قول المحقق الطوسي من أئمة الشافعية وقد نقل هذا العلامة الكردي المدني في حاشيته على شرح ابن حجر الهيتمي قال ما محصله : اختلف في تسويد النبي (ص) عقب التشهد فتيل بجوازه تأدباً وقبل بكرائه وقيل بحرمته وقال الطوسي من أئمتنا أنها مبطله . قال الكردي بعد هذا ولعل الطوسي غلط اه وقد تبين مما تقدم أنه الحق وأما تغليظه اياء فهو مبني على ما قدمه من جوازها تأدباً وعلى ما قاله بعض المتأخرين من الشافعية وهم شذوذ بالنسبة الى المتقدمين لان القول بجوازها تأدباً يؤدي الى رفع الادب عن الصحابة والتابعين لهم باحسان وهو مالا يجتريء على القول به ذودين

هذا ولم يقل بجوازها أحد من الأئمة الاربعة ولم ينقل عن أحد من أصحابهم القول بالجواز . هذا ما يتعلق بها من حيث الفروع والاصول . وان فيه لمقنعا لمريد الحق المنصف

مسألة التوسل

والمسألة الثانية من الرسالة موضوعها ما ادعاه بعض من انتمى الى العلم من سنية التوسل مرتكناً فيه على حديثين أحدهما «اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك» الثاني ما ورد في تفسير الكلمات التي تلقت آدم أو تلقاها في قوله تعالى (١) اللفظ الثاني انفرد به مسلم ورواه احمد أيضاً وأما الاول فتفق عليه

المنار: ج ٤ م ٢٤ رأي الحنفية والشافعية في التوسل ٢٩٩

(فتلقى آدم) الآية وانا تتكلم على كل من الحديثين ثم انفصل المسألة من حيث المنقول فيها عن الأئمة بالاجاز فنقول في شرح الحديث الاول « وخير ما فسرت به بالوارد » جاء من حديث معاذ عند مسلم ما ملخصه « ان حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً وان حقهم عليه اذا هم فعلوا ذلك الا يعذبهم » فعنى حق السائلين أي العابدين المخلصين في عبادتهم كما يؤخذ من الحديث هو أن تشملهم رحمته وحينئذ يرجع معنى الحديث الى ان رسول الله (ص) سأل الله أن يدخله في رحمته لانه خير عابد مخلص بصفة من صفاته الذاتية وهي الرحمة المبينة في حديث « ان رحمتي سبقت غضبي » وسؤال الله بصفة من صفاته لاشيء فيه وليس هو توسلاً بذات مخلوق أو عمله بل هو سؤال بجزء على عمل الانسان نفسه في مقابلة عمله كما يوضحه قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ « اذا هم فعلوا ذلك » فاذا كان معنى الحديث ما قدمناه لم يدل على سنية مازعم من التوسل ولا على جوازه. وانا ننقل عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم خصوصاً أئمة المذاهب الاربعة وأصحابهم عدم الجواز

رأي أبي حنيفة واصحابه

قال ابو حنيفة واصحابه لا يجوز أن يسأل بمخلوق ولا يقول أحد أسألك بحق أنبيائك . قال ابو الحسين القدوري في كتابه الكبير في الفقه المسمى بشرح السكرخي بعد أن ذكر ما تقدم ما نصه : وقد ذكر هذا غير واحد من أصحاب أبي حنيفة قال بشر بن الوليد حدثنا أبو يوسف عن أبي حنيفة انه قال لا ينبغي لأحد أن يدعو الله الا به ، وقال أبو يوسف اكره أن يقول بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك وبحق البيت الحرام والمشعر الحرام وقال القدوري المسألة بخلقه لا تجوز لانه لاحق للخلق على الخلق فلا يجوز وفقاً وما يقول فيه ابو حنيفة وأصحابه أكره كذا هو عند محمد حرام وعند أبي حنيفة وأبي يوسف الى الحرام أقرب ، وجانب التحريم عليه أغلب

رأي الشافعية

في فتاوى أبي محمد العز بن عبد السلام مانصه: لا يجوز سؤال الله بشيء من مخلوقاته لا الانبياء ولا غيرهم: ثم قال: وأتوقف في جوازه بنينا (ص) لاني لا أعرف صحة الحديث فيه، والحديث الذي يشير اليه هو «توسلوا بجاهي فان جاهي عند الله عظيم» (١) حديث باطل باتفاق الحفاظ، ونقل ابن القيم ان الدعاء عند القبر والصلاة عنده والتسبح به لانه قبر فلان الصالح بدع منكورة باتفاق أئمة المسلمين. وان ما ينقله بعض الجهلة من دعاء الشافعي عند قبر أبي حنيفة كذب ظاهر اه: ونزل الثوري عن الشافعي مانصه أكره أن يعظم مخلوق واصطلاحه في مثل هذه العبارة معروف وهو التحريم، ولم ينقل عن مالك وأحمد في المسألة شيء سوى السلام على النبي (ص) وصاحبيه (رض) لمن وجد عند القبر، بل نقلت موافقتهم لغيرهما من الأئمة كما تقدم عن القدوري وابن القيم اه الكلام على أحد الحديثين

وأما على الثاني فقد قال السيوطي في تفسير الكلمات من قوله تعالى: (فتلقى آدم من ربه كلمات) الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لما أذنب آدم الذنب الذي أذنبه رفع رأسه فقال: أسألك بحق محمد الاغفرت لي، فأوحى الله اليه ومن محمد؟ فقال: تبارك اسمك لما خلقتني رفعت رأسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله، فاملت انه ليس أحد أعظم قدراً ممن جعلت اسمه مع اسمك، فأوحى الله اليه يا آدم انه آخر النبيين من ذريتك لولاه ما خلقتك» رواه الطبراني وابو نعيم والبيهقي وابن عساكر والحاكم وانفرد الاخير بتصحيحه. اه يرويه جميعهم عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر

(١) المنار الذي نجزم به ان سلطان العلماء لا يخفى عليه أن هذا الحديث موضوع وانه انما عن حديث الاعمي والرواية التي تدل على مذكور من رواياته ضعيفة كما حققه شيع الاسلام في كتاب التوسل والوسيلة

ابن الخطاب يرفعه ولم يتابع السيوطي عليه أحد من المفسرين بالماثور كابن جرير والخافظ ابن كثير وغيرهم وروايتنا أن نقتل أقوال أولئك العلماء في تفسير الآية لاحتجاجنا إلى عدة أوراق ولكن نكتفي بأنهم أهملوا ما قال السيوطي - واسناد الحديث في الطبراني الصغير هكذا: عن محمد بن داود بن اسلم الصوفي المعري عن احمد بن سعيد المدني الفري عن عبد الله بن اسماعيل المدني عن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم عن أبيه عن جده عن عمر بن الخطاب قال الطبراني لا يروى عن عمر إلا بهذا الاسناد تفرد به احمد بن سعيد اه

«ملحوظة» (تتفق المختصون العلماء على عدم الاحتجاج بالحديث اذا روي بمنعنة المحضة (١) كلاسناد الذي من معنا اذا لم يصرح بالفظ التحديث أو الاخبار أو السماع من طريق أخرى وقد صرح الطبراني انه لا يروى إلا بهذا الاسناد كما تقدم عنه)

قال البيهقي (وهو أحسن روايته . تفرد به عبد الرحمن اه) يريد بذلك انه شذ كما أراد الطبراني احمد بن سعيد وقال بعضهم تعليقا على تصحيح الحاكم ايس كل ما صححه الحاكم مقبولا وقتل المدارس في هذا الحديث بخصوصه في كتابه (كشف الاحوال في نقد الرجال) إن عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ضعيف باتفاق وقال العلامة احمد بن ناصر التميمي في كتابه (تقريب التهذيب) جوابا لسؤال سألته عن تصحيح الحاكم لهذا الحديث انه من رواية عبد الرحمن بن زيد: يعني ايس بصحيح وقال احمد بن حنبل: عبد الرحمن بن زيد بن اسلم ضعيف وقال يحيى بن معين . ليس حديثه بشيء . وضعفه علي بن المديني جدا وهو امام الحفاظ في عصره صاحب تأليف عديدة في الجرح والتعديل . وقال ابو داود صاحب السنن أولاد زيد بن اسلم كلهم ضعيف وقال النسائي من أصحاب السنن ضعيف وقال ابن عبد الحكم سمعت الشافعي يقول . ذكر رجل لمالك حديثا فتال من حديثك فذكر اسنادا منقطعا فقال مالك اذهب الى عبد الرحمن بن

(١) المنار: لا يصح هذا علي اطلاقه بل هو مقيد بمنعنة المدارسين

٣٠٢ عبد الرحمن بن زيد بن اسلم المنارج ٤ م ٢٤

زيد يحدثك عن أبيه عن جده عن نوح (ومالك هو لامام الجليل) وقال أبو زرعة أحد الحفاظ الذين يروي عنهم البخاري ومسلم وغيرهما من أصحاب السنن في شأن عبد الرحمن انه ضعيف ، وقال ابو حاتم الحفاظ المعروف ا ليس عبد الرحمن ابن زيد بقوي في الحديث كان في نفسه صالحا وفي الحديث واهايا ه
وقال ابن حبان كان يقاب الاخبار وهو لا يعلم حتى كثر ذلك في روايته من رفع المراسيل واسناد الموقوف فاستحق التبرك اه

وقال ابن سعد صاحب الطبقات في شأنه ، كان كثير الحديث ضعيفا جدا اه وقال ابن خزيمة ، ليس عبد الرحمن ممن يحتج أهل العلم بحديثه اه وقال الحاكم وابو نعيم وهو الراوي للحديث روى عن أبيه أحاديث موضوعة اه وقال الحفاظ بن الجوزي الناقد للأحاديث أجمعوا على ضعفه اه

فهذا الحديث الذي يتمسك به جبهة المرتدين في جواز التوسل قد بينا شأنه وأقوال العلماء فيه وكان يصح لهم ذلك لو لم يعارضه اتفاق المسلمين كما نقلناه عن الأئمة على عدم جواز التوسل فضلا عن سنيته نسأل الله التوفيق والاهتمام بما جاء عن خير الأمة والمهديين بسنته والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه آمين

تحريرا بالعلاقة في ٤ شوال سنة ١٣٤٠ هـ احمد عطيه قوره

www.alukah.net

المنار: ح ٣ م ٢٤ ذكرى رينان في الجامعة المصرية ٢٠٠٣

ذكرى رينان في الجامعة المصرية

محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق في رينان والافغاني

رينان كاتب بليغ من كتاب الفرنسيين وملاحظتهم اشتهر اسمه في مصر وبعض البلاد العربية الاخرى بخطاب (محاضرة) موضوعه (الاسلام والعلم) وجه به قوة فصاحته وبلاغته الخلابه الى الطعن في الدين الاسلامي والامة العربية لينقض بها ماشاده علماء فرنسة الفلاسفة الاعلام وغيرهم من التاريخ المجيد للعرب والاسلام، وفي مقدمتهم الفيلسوف الاجتماعي الكبير (غوستاف لوبون) صاحب كتاب (حضارة العرب) الذي سارت بذكره الركبان والعلامة (سديو) الشهير صاحب كتاب (تاريخ العرب) ولكنه تكلم بجهل وتكلموا بعلم وقد كان من مثار العجب للناس ان الجامعة المصرية اقامت حفلة حافلة لذكرى رينان بمناسبة انقضاء قرن من عهد ولادته وثاروا في استنباط الباعث لاساتذة الجامعة على اختيار هذا الملحد الطاعن في دين الاسلام وفي المسيحية أيضاً للاشادة بذكره واعلاء قدره على عدم حفظ أي منقبة له نعم بها البشر فأصاب هذه البلاد وهذه الامة حظ منها يستحق بها ذلك عليها، والعهد قريب باحتفال فرنسة وغيرها بذكرى عالم من علمائها بل من أكبر علماء الارض ومكتشفهم نفع البشر كلهم بعلمه واكتشافاته وهو (باستور) الشهير فلماذا لم تحتفل الجامعة باحياء ذكره، واعلاء قدره؟

وقد كان الدكتور طه حسين أحد مدرسي الجامعة المصرية ينشر في هذه الاثناء التي وقع فيها الاحتفال بذكرى (رينان) مقالات في جريدة السياسة يحاول فيها إثبات انتشار الارتياب في الدين الاسلامي والاحاد والفسق عنه في أهل القرن الثاني والثالث للهجرة الاسلامية في بلاد الحضارة العربية كالعراق بل في الحجاز أيضاً، ويستدل على ذلك بشبهات كشبهات رينان، كما أخبرنا الثقات الذين رد بعضهم عليه

وفي اثر ذلك نشر في الجرائد إعلان يبشر الناس بأن الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق سيلقي في الجامعة المصرية محاضرة موضوعها (الفيلسوف

٣٠٤ ذكرى رينان في الجامعة المنار: ج ٤ م ٤٤

رينان وجمال الدين الافغاني (فظننا نحن وأمثالنا أنه يزيد بهذه المحاضرة أن يحو سيئة ذلك الاحتفال بالاشادة بفضل فيلسوف الاسلام السيد الحسيني سليل البضعة النبوية الطاهرة الذي اشتهر عنه أنه رد على محاضرة رينان في وقتها بما هدم بنيانها ، وقوض أركانها ، وقد أقمنا دار الجامعة في مساء اليوم الثاني من شعبان (٢٠ مارس) مع الكثيرين لسماع محاضرتة ، فلما سمعناها دهشنا وخاب أملنا ، فخرجنا من دار الجامعة الى دار جريدة الاهرام لموعده اجتماع مجالس ادارة نقابة الصحافة فيها فحرف بنا كثيرون ممن خرج معنا من الازهريين وغيرهم فرأيناهم مستائين مما سمعوا كارهين له ، فذكرنا لهم بعض مافي الخطاب من الخطأ والخلط والضعف في المحاضرة فتمنوا لو يكتب فوعدهناهم بذلك وقد كتبنا في تلك الليلة العجالة التالية لجريدة الاهرام :

﴿ محاضرة الشيخ مصطفى عبد الرازق ﴾

(موسيورينان وجمال الدين)

نظرة عجيلى

حضرت هذه المحاضرة في الجامعة المصرية وكنت قد سمعت من شيخنا الاستاذ الامام كامة مجملية عن رد السيد علي رينان فهمت منها ما سأذكره بعد كنت أظن أن سأسمع ما قاله رينان في الاسلام مفصلا وان يكون فيه شبهات ومطاعن دقيقة تحتاج الى حجج جمال الدين وقوة عارضته فخاب ظني وكنت انتظر أن اسمع تمة المحاضرة المعلن عنها في الصحف وهي ما كان بين رينان ومحمد عبده لارى هل أسمع عنه ضد ما أعلم منه عن نفسه، كما سمعت ضد ما أعلم منه عن استاذة؟ واكن الاستاذ صاحب المحاضرة أطل في المقدمة فضاف الوقت المعين عن الخاتمة ، وهي على ما أظن رد الشيخ محمد عبده على رينان طعن رينان في الاسلام بأنه عدو اليم والعقل وطعن في العرب بان عقولهم قاصرة بطبعها غير مستعدة لفهم الفاسفة وما وراء الطبيعة وكل ما ذكر في المحاضرة من تلخيص كلامه يدل على أنه لم يكن يعرف من أصول الاسلام شيئا الا بعض

كلام دعاة النصرانية في الجزائر ورجال السياسة الفرنسية فيها وناهيك باختلاف الفريقيين والتحقيق والصدق منهم (؟) فن تحقيق الفريق الاول ما يعرفه قراء العربية من كتاب (الإسلام للكونت دي كاستري) الذي ترجمه بالعربية المرحوم احمد فتحي باشا زغلول فان فيه من العقائد المنسوبة الى الاسلام ما لم يخطر في بال احد من البشر لم يطلع على مقترياته . ومن تحقيق الفريق الآخر تفضيل البربر على العرب في العلم والمدنية ، ودليلهم على ذلك أن أصلهم من برابرة الشمال الاوربيين لا من همج الساميين ، وقد اضطر الى تجهيلهم الفيلسوف لاجتماعي بحق (غوستاف لوبون) احد أفراد علماء الفرنسيين الذين انصفوا العرب حق الانصاف على علم صحيح بالتاريخ

ومن هذا الباب ثناء رينان على جمال الدين وعلى قومه الافغان بانهم من الارومة الآرية ذات العقل الراقى المستعد للفلسفة العليا التي تسعصي على عقول العرب وعلل بذلك ما زعمه من عدم استمسك هذا الشعب بالاسلام . والحق الواقع القطعي الدال على مبالغ جهل رينان هو أن السيد جمال الدين هو الفيلسوف الوحيد الذي خرج من الافغان وهو من صميم العرب من سلالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وان الشعب الافغاني هو أشد الشعوب الاسلامية اعنصاما بدين الاسلام وتعصباً له ، لعله لا يفوقه في هذا أو يساويه فيه الا عرب نجد فاذا كان السيد جمال الدين غير متدين كما تراهى لعقل رينان فقد نقضت قاعدته في العرب وفي الافغان جميعاً ، فما هذه الفلسفة؟ واذا كن هذا مبلغ علمه بهذا الشعب الحاضر ، فما القول بعلمه بالشعب العربي لاندلسي الغابر، اذ فضح نفسه فيما قاله عنه شر فضيحة

على أننا لا نثق بما نقل اليهنا الاستاذ صاحب المحاضرة من كلام فيلسوفي الغرب والشرق — على رأيه — فان السيد جمال الدين كتب رده على رينان بالعربية — كما قال — وترجم لجرادة الديبا بالفرنسية . ونقل من الفرنسية الى الالمانية، ومنها الى العربية فهل حفظ الاصل مع كثرة النقل من لغة الى لغة الى أخرى؟

(المنار: ج ٤) (٣٨) (المجلد الرابع والعشرون)

نقل البنا قبل هذا كلام من قول رينان في الامام الغزالي وجدناه غلطا مخالفا لما في كتبه المشهورة كتهافت الفلاسفة وأحياء علوم الدين وهو لم يعتوره من تعدد الترجمة ما أصاب رد السيد جمال الدين

ملخص ما ذكر في المحاضرة من رد السيد الافغاني على ان فيلسوف الفرنسي انه وافقه على كون الاسلام عدو العلم والعقل كسائر الاديان وخالفه في طعنه في العرب . ولكن الاستاذ صاحب المحاضرة نقل عن السيد كلمة وجيزة مجملة فيما عناه رينان الى الاسلام هل هو من تأثير الدين نفسه أم هو تأثير فهم الناس له واختلاف الشعوب في فهمه ؟ خرجت هذه الكلمة بصوت غير جهوري فلم تعها كل اذن . ولا فكر فيها كل سامع . ولعل كل ماني الرد من التسليم باضطهاد الاسلام للعلم وعداوته للعقل مبني على هذه الكلمة

ههنا أذكر كلمة الاستاذ الامام عن رأي استاذ السيد جمال الدين في الدين والعلم ، وهي ان الاسلام دين العقل والحكمة والفلسفة الصحيحة وانه لولا تأثير هدايته لما انتقل العرب من الامية الى أعلى مما كان عليه جميع البشر في كل علم وكل فن وكل نظام وكل عمران في مدة جيل واحد حتى سادوا الفرس والروم والاوربيين وغيرهم ، وهل يعقل ان تلك الشراذم التي خرجت من جزيرة العرب حفاة عراة لا يعرفون من العلم شيئا غير القرآن ولم يكن كل واحد منهم يحفظه كانه يمكن أن تدوخ كل هذه الامم وتسودها وتسوسها من ساحل المحيط الاطلسي الى الشرق الاقصى وتخضعها لدينها ولغتها بالسيف ؟ ؟

ولسكن المسلمين ابتدعوا في الاسلام بدعا كثيرة لم يمكن تداركها بسبب فساد نظام الخلافة واخراجها عن أصلها الذي يشترط فيه العلم الاستقلالي والعدالة وبهذا الابتداع الذي صار اسلام القرآن فيه غير اسلام المنتسبين اليه أضاعوا العلم به ثم عادوا كل علم حتى صاروا الى ما كان يسعى السيد لتلافيه وتداركه ، فكانه يقول لرينان كل ما ذكرت من عداوة الاسلام للعلم مما تكثر الشواهد عليه في التاريخ — وان كانت قليلة في عهد الاسلام بالنسبة الى غيره من الاديان

المنار: ج ٤-٤٤ كلمات للافغاني في الاسلام والقرآن والمسلمين ٣٠٧

فهو الاسلام الذي فهمه خطأ اولئك الذين عادوا العلم والعقل والحضارة لا اسلام القرآن الذي يخاطب العقل ويرفع شأن العلم في آيات كثيرة ويبين أن الله سننا في السكون قام بها نظامه وان هذه السنن لا تبديل لها ولا تحويل من الكلمات المأثورة عن السيد جمال الدين ان القرآن وحده كاف لرفع البشر الى أرقى مقام من العلم والعرفان والفضائل والحضارة ، لو أن شعبا وجدته على صخرة في جزيرة بالبحر ولم ير غيره ، وليس معني هذا أن فيه مسائل جميع العلوم والفنون التي يرقى بها البشر وانما معناه انه يصاح العقول والانفس ويدفعها بهدايته الى طلب هذا الكمال

وكتب الي صديقي الشيخ عبد القادر المغربي من الاسنانة أيام كان السيد فيها أنه زاره فكان مما سمعته منه أنه ليس بين اوربا وبين القرآن من حجاب يمنعهم من الاهتداء به الا نحن معاشر المسلمين . قال: انه رفع كفيه ووضعها أمام وجهه وفرج بين أصابعه وقال : ينظرون البنا من خلال القرآن هكذا فيرون وراءه شعوبا قد فشا فيها الجهل والفقر والسكسل و.. و. فيقولون لولا أن تعامله باطلة لما كان اتباعه بهذه الدركة من الانحطاط ، فاذا أردنا أن نهديهم الى الاسلام فلنقنعهم أولا. أننا لسنا مسلمين

وقد سألت الاستاذ الامام : هل وفي السيد بما وعد به من كتابة كتاب يثبت فيه ان المدينة الفاضلة التي مات الحكماء بحجرة من فقدوها لا تختلط في العالم الا بالدين الاسلامي ؟ فقال لا أعلم أنه كتب شيئا بهذا العنوان ولكنه كتب كتابا أوقال رسالة فارسية في العدالة العامة أثبت فيها هذه القضية ولا أعلم ما فعل الله بهذا الكتاب أو الرسالة (الشك مني)

ومن أراد أن يعرف رأي السيد في تأثير الاسلام في اصلاح البشر فليقرأ مقالات البروة الوثقى الاجتماعية في الجزء الثاني من تاريخ لاستاذ الامام ، وأما موضوع الاسلام والعلم فقد فصح الاستاذ الامام في كتاب لاسلام والنصرانية تفصيلا. وسأعود الى هذا الموضوع فأوقيه حقه في المنار إن شاء الله تعالى

فعلم من هذا أن الذي يتفق مع ما كتبه السيد جمال الدين أو أملاه في حقيقة الاسلام وكونه دين الحكمة والعقل والمدنية هو أنه قد وافق على أن الاسلام الممزوج بالبدع هو ذلك الذي اضطره بعض اهله رجال العلم كما كان يقول في مجالسه بمصر عند رده على بعض آراء الاشعري في الكسب والجبر والتحسين والتقييح العقليين : ان دي الاشعري في المسألة كذا وان ! له الاشعري قادر مرید — غير حكم

ويحب الملحد ان يكون عظماء الرجال ملاحدة مثله واذا كان من متحلي الفلسفة والعلم والباحثين في الادلة يظن ان من عرف بالعقل والعلم والحكمة لا يمكن ان يكون ذا دين. وهذا ما كان يحمل بعض الناس على القول بأن جمال الدين ومحمد عبده غير مندينيين .

وقد كان يسألني بعض من يعرفون مني الصدق : هل الاسناد الامام متدين بالفعل اعتقادا وعملا ؟ بل كثيرا ما سألني مثل هذا السؤال عن نفسي من يحسنون الظن بي ويعدونني من (المتنورين) مثاهم ، وآخر من سألني هذا السؤال عن نفسي أديب في حضرة جماعة من المسلمين والمسيحيين منهم سليم افندي سر كيس الكاتب المشهور ، وموضوع السؤال الايمان بالبعث والحياة الاخرى بعد الموت ، وقد أجبته بما أزال استبعادهم للبعث وصوره لهم بصورة تتفق مع العلوم والفنون العصرية ولا سيما الكيمياء حتى اعترفوا بذلك

ان الملحد يحكم على غيره بالاحاد بأدنى شبهة وقد حدثني الدكتور شمبل أنه سأل السيد جمال الدين عن الدليل على وجود الله تعالى — قال فشرع يذكري قواعد كلامية في استحالة الترجيح بغير مرجح والممكن والواجب لم افهمها فعلمت أنه شاك ولا يستطيع أن يقيم برهانا علميا واضحا ، والذنب على الدكتور شمبل الذي كان خالي الذهن من تلك الاصول والقواعد العقلية التي اعتمد عليها متكاملو الاسلام في المسائل الالهية — فظن أن السيد يقول ما لا يفهم لانه هو لم يفهم ما قاله السيد

المنارج ٤ م ٢٤ الرواية التي يوثق بها وضدها ٣٠٩

أرى في هذا البلد أفراداً يعنون في هذه الأيام بافساد عقائد المسلمين وتجرثهم على الكفر وعلى الفسق أيضاً (١) حتى زعم بعضهم أن أكثر المسلمين كانوا كذلك في القرن الثاني للهجرة مرتابين في الدين وفاسقين عنه بدليل ما يوجد عنه في بعض كتب الخلاعة والأخبار من حكاية ما يؤثر في ذلك عن بعض الأفراد من الشعراء والمغنين والمخنثين، على أن رواة هذه الأخبار لا يوثق بهم وأين هم من كتب المحدثين الثقة وتراجم العلماء والصلحاء الذين ملأوا الدنيا علماء وفضلاً وقدوة صالحة؟ إنهم لا يستطيعون قراءة أمثال هذه الكتب ولا تصديق مؤلفيها، (ولكل وجهة هو موليها) وأما نحن فأننا لا نقبل إلا رواية الثقة المدول ونصح للناس أن يعرضوا عن اللغو والفضول، وروايات من لا يوثق بعديتهم، ولا سيما إذا كانت مخالفة للروايات الصحيحة التي تعارضها، وعلماء نقد الحديث يردون رواية العدل المعروف بالصدق إذا خالفت روايات الثقة الإثبات المعروفة فأراء حكيم الإسلام السيد جمال الدين الأفغاني مدونة في رده على الدهريين وفي مقالات العروة الوثقى وغيرها برواية الثقة وقد طبعت في عصره وتلقاها الألوف ومئات الألوف في الشرق والغرب فهل يصح أن نردها بحمل مقتضية منقولة عن لا يوثق بهم بعد مرورها من مضيق لغات مختلفة تعودنا أن نسمع من أهلها الاختلاق علينا في ديننا وتاريخنا وسياستنا؟ كلا إنه لو صح ما فعلوه فيها عن السيد جمال الدين لكانت دليلاً على جهله فيما نعلم أنه من أعلم الناس به، وعلى تناقضه وعلى كذبه ونفاقه. ولو كان ذلك — أجل الله قدره — لما صح أن يكون قدوة لأحد، وفات على دعاة الأحاد أن يتخذوه قدوة فيه للناس، كيف وهو الذي أحيا النهضة العلمية والسياسية في الإسلام. رحمه الله وبرأه من تهم أعداء الأديان، كرينان ومقلدة رينان، ونحن انما نهتدي بقوله تعالى (فنشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أوائك الذين هداهم الله وأوائك هم الألباب)

(١) تساءل الناس في الجرائد عن هؤلاء الأفراد وهم غير محصورين وليس لنا أن نطعن في تدين فرد معين منهم إلا بدليل لا يحتمل التأويل والمحاضرة التي نرد عليها ليست كذلك على ضررها في هذا الباب، وتأييدها لهؤلاء الأفراد

٣١٠ رد المنار على محاضرة الشيخ مصطفى عبدالرازق المنار: ج ٤ م ٤٢٤

كلمة المنار في المحاضرة

(١)

كتبنا كلمتنا العجلى للاهرام عقب حضور المحاضرة بحافز التأثير السيء الذي كان لها في نفسنا وفي أنفس الجمهور كما علمنا ، كما أن احد أمتدة الجامعة جاء الاهرام في تلك الليلة بكلمة أثنى فيها على المحاضرة وزعم أن الجمهور تلقاها بالقبول والارتياح . . . ، ورغب الى رئيس تحريرها أن ينشرها في الجريدة على أن تكون باسمها فنعل ، ثم استكتبوا رضا توفيق بك الملقب بالفيلسوف التركي مقالة في الثناء على المحاضرة وتحبيذ موضوعها والتنويه بأمر الجامعة المصرية وأساتذتها ونشرها

ونحن وبنينا في كلمتنا العجلى أن نعود الى الموضوع فنجليه في المنار — والمنار أجدر به — لاجل أن نكتب ما نرى فيه الفائدة بعد قراءة المحاضرة لعلمنا بأن ستنشر في جريدة السياسة التي كانت خصصت بعض صفحاتها لنشر أمثالها ، فلما قرأتها ظهر لنا ما كان خفي علينا عند سماعها ، وأوله افتتاحها بتدقيق البحث في تاريخ اخراج السيد جمال الدين من مصر واعتقاله في الهند ومجيئه الى باريس فقد أطل فيها بما لم ينشر كله في صحيفة السياسة اذ لم يكن مكتوباً ، وكان هو أول ما تبرم به السامعون ونكروه فانهم لم يحضروا لاجل سماع تاريخ السيد في اسفاره وتحرير القول في تاريخها ونرى أن نقسم القول في المنار الى بيان ما ظهر لنا من غرض الاستاذ الشيخ مصطفى من المحاضرة فالدفاع عما رمى به السيد جمال الدين فتنند مطاعن رينان الجهلية

الغرض من المحاضرة

كنا نظن أن الاستاذ الذي درس العلم الاسلامي في الجامع الازهر وبعض العلم الاوربي في باريس أراد بعد احتفال الجامعة المصرية بربانان، الذي لم يعرف في هذه البلاد الا بما اشتهر من طعنه في الاسلام — أن يقوم بما هو جدير به

المنار: ٢٤م٣ خلاصة محاضرة الشيخ مصطفى عبدالرازق ٣١١

من تلخيص رأي رينان في الاسلام وتلخيص رد السيد جمال الدين عليه والزيادة عليه بما يعن له، وختم الكلام بخلاصة الموضوع الذي هو (الاسلام مع العلم والفلسفة) ذلك ما كنا نوده وما كان يظنه الكثيرون

فكانت خلاصة المحاضرة أن السيد جمال الدين الذي اشتهر في العالم الاسلامي كله بأنه حكيم الاسلام وموقف شعوبه والداعية الى تجديد مجده وإعزاز دولته بهدي الدين وعدو الالحاد وصاحب تلك الحملة المصورة على أهله في رده على الدهر بين — قد كان ما كان من أمره في ذلك محصوراً في حياته قبل أن يذهب الى اوربة — بل الى باريس — وإنما كان تعرض سياسي وانه بعد وصوله الى مدينة الكفر والالحاد واجتماعه برينان وأمثاله في أوائل سنة ١٨٨٣ قد تطور فكره في أقل من ثلاث سنين ، ففرق من الدين ، واعتقد أنه عدو للعلم والعقل والمدنية ، حتى انه قبل بكل تعظيم وارتياح طعن رينان في الاسلام، وعظمه وأثنى عليه من جرانه أطيب الثناء، على ما سنينته بالاجمال من بطالانه وسخفه الذي لا يخفى على طالب علم بله حكيم الاسلام ، ومكمل تربية الاستاذ الامام (٠) بهذا أجاب الاستاذ الشيخ مصطفى عن المقارنة بين رد السيد على رينان سنة ١٨٨٣ وبين سائر محرراته حتى رده على الدهريين الذي كتبه سنة ١٨٨١ — وهذا سر ذلك التدقيق التاريخي الذي أشرنا اليه في فائحة هذه الكلمة ولكن المعروف من تاريخ السيد الحكيم ومن محرراته في سنة ١٨٨٣ وما بعدها انه لم يزد بعد اقامته في اوربة وباريس خاصة الا اسنمسا كما بعروة الاسلام الوثقى ودفاعاً عنه ودعوة الى النهضة الاسلامية المدنية بهرايته العالية. وخلاصة المحاضرة أن فليسوفي الشرق والغرب قد اتفقا على اثبات عداوة الدين للعلم والعقل وحرية الفكر لا فرق بين الاسلام وغيره

علمنا أن صاحب المحاضرة كان يبحث منذ سنين عن آثار السيد جمال الدين والتين محمد عبده فهل كل هذا التعب كان لاجل هذه النتيجة ، المستنبطه من تلك المقدمات غير المسلمة ؟

الدفاع عن السيد جمال الدين

اننا نرى التعارض تاما بين هذا الرد الذي استخرجه لنا صاحب هذه المحاضرة من ترجمة المانية عن ترجمة فرنسية لم يرها عن أصل عربي مفقود وبين سيرة السيد ومكتوباته وما روى الثقات عنه من أول عمره الى آخره حيث كان في الاستانة يختلف اليه العلماء والاذكياء الذين لقينا كثيراً منهم ، فأي الامرين نرجح ؟

لدينا رجل معروف مشهور روى لنا عنه آراءه وأفكاره كثير من العلماء والفضلاء من أقطار مختلفة عاشره و تلقوا عنه ، منهم من توفي كالاستاذ الامام والاستاذ الشيخ عبد الكريم سلمان والاستاذ ابراهيم اللقاني الذين كان أقرب الناس اليه ، وأصدقهم به وأكثرهم استفادة منه ، ومنهم الاحياء كالاستاذ الشيخ نجيب والاستاذ ابراهيم بك الهلالي ، ومنهم آخرون من أهل سورية والاستانة وغيرها من الاقطار كالامير شكيب ارسلان والشيخ طاهر الكيال والشيخ عبد القادر المغربي ، وله آثار مخطوطة ومطبوعة في عصره أشهرها رسالة الرد على الدهريين وجريدة العروة الوثقى التي نشرها بباريس سنة ١٨٨٤

كل ذلك متفق في تعريف الرجل اليها أو تعريفتنا به ، ويعارضه تلخيص بالعربية عن ترجمة المانية ترجمة فرنسية لرده بالعربية على رينان — فيه ابهام التلخيص واحتمال الخطأ فيه — وعدم الثقة بمطابقة الترجمة الالمانية للفرنسية والترجمة الفرنسية للاصل العربي الذي كتبه السيد ردا على رينان ، فاذا هو بهذه الظلمات الثلاث أقرب الى التأييد منه الى الرد والمشهور انه رده ، على أننا فهمنا منه غير ما فهمه صاحب المحاضرة

فأي هذين الامرين المتعارضين نرجح ؟ أفهمنا المؤيد بالآثار المخطوطات والمطبوعات ، وبروايات الثقات الاثبات أم فهمه المعارض بكل ما ذكرنا الذي تعلوه تلك الظلمات الثلاث اننا نرى أهل الفرق المختلفين في اصول الدين الواحد

منهم على مذهبه بنصوص من كتاب ذلك الدين الالهي وكذلك المختلفون في الفروع قد يرد بعضهم على بعض بنصوص الكتاب وأقوال الرسل عليهم السلام. بل نرى أهل دين يستدلون بكتاب غير كتابهم على خلاف ما اجمع عليه المؤمنون بذلك الكتاب، كما ألف بعض دعاة النصرانية كتابا استدل فيه بآيات من القرآن على أن التوراة والانجيل اللذين بأيدي أهل الكتاب حق كما أنزلهما الله وأنه لا تحريف فيهما ولا تبديل. وأنه يجب العمل بهما بعد الاسلام !

انا نجد فيما لخصه الاستاذ صاحب المحاضرة من رد السيد جمال الدين على رينان جملا متفرقة تخالف جملا أخرى منها وتحول دون صحة النتيجة التي استنبطها من مجموع الرد وقد يؤيدها في ذلك جملة من تلخيص رد رينان على السيد أول ما لخصه من رد السيد قوله :

« تشتمل محاضرة الموسيو رينان على نقطتين أساسيتين فقد حاول هذا المفكر العظيم أن يبرهن على أن الديانة الاسلامية كانت بما لها من نشأة خاصة تناهض العلم وان الامة العربية غير صالحة بطبيعتها لعلوم ما وراء الطبيعة ولا للفلسفة » ويظهر ان الموسيو رينان يقول ان هذه النبتة الصالحة ذبلت في أيدي المسلمين كما يذبل النبات تليفحه ربح الصحراء الساخنة «

« وان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها : أصدر هذا الشر عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية في العالم ؟ أم ان أخلاق الشعوب التي أعتنقت هذا الدين أو حملت على اعتناقه بالقوة — وعاداتها ومواهبها الطبيعية — هي جميعا مصدر ذلك ؟

« ولا ريب (١) أن الوقت المخصص لرينان قد حال دون اجلائه هذه النقطة » أه بحر وفه فيؤخذ من هذه الجملة أو لجمال أمور :

(أحدها) — أن السيد صرح بان رينان حاول أن يبرهن على نظريته في

(١) الظاهر أن هذه الجملة استئناف بياني فواو العطف في أولها غلط

(المنازل: ج ٤) (٤٠) (المجلد الرابع والعشرون)

٣١٤ خطأ الشيخ مصطفى في فهم كلام الانفائي المنار : ج ٤ م ٢٤

الاسلام ، لا أنه برهن، ومعنى حواره طلبه بحيلة كما بينه الزنجشيري في أساس البلاغة وإنما يلجأ الى الحيلة العاجز

(ثانياً) — أنه حاول ذلك بأخذه من نشأة هذا الدين الخاصة وكون العرب الذين نزل كتابه بلغتهم غير مستعدين للعلم والفلسفة — لا من طبيعته وتعاليمه (ثالثاً) — أن الاسلام نفسه نبذة صالحة — أو العلوم — فالعبارة محتملة، وأنها ذبلت في أيدي المسلمين وتصوحت كما يتصوحوه النبات الغض تلفحه ريح السهوم ومعنى هذا على الوجه الثاني ان العلوم وجدت في عهد الاسلام ثم ذبلت ، وهذا حق فالتاريخ يشهد ان العرب هم الذين أحيوا العلم والفلسفة بعد ان أخرجهم الاسلام من أميئتهم ، وانها انما ذبلت بعد ضعف درهمهم ، ثم جفت ويديست بعد زوال تلك الدول ، وسيأتي تفصيل ذلك

(رابعاً) — قوله : ان المرء ليتساءل بعد أن يقرأ المحاضرة عن آخرها

أصدر هذا الشرع عن الديانة الاسلامية نفسها ؟ أم كان منشؤه الصورة التي انتشرت بها الديانة الاسلامية الخ ما تقدم

والذي يتفق مع سيرة السيد مجتلة ومفصلة بل الذي نقل عنه صراحة هو ان اسلام القرآن أكل هداية للبشر وأنه كافل المدنية الفاضلة التي مات الفلاسفة والحكماء في حسرة من فقدوها وعدم اهتداء السبيل اليها ، وان المهملين لم يقوموا بكل ما أرشد اليه الاسلام من كل وجه، وأنهم جنوا على دينهم حتى نفروا الناس منه في القرون الاخيرة، وقد نقلنا في الكلمة العجلى بعض ما روى لنا الثقات عنه في آخر عمره في الاستانة أي بعد التطور الذي استنبطه الاستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق فكان منشأ أغلاطه . ومما يؤثر عنه وسمعه منه الكثيرون : أن القرآن لا يزال بكرة لم يفسره احد حق تفسيره ، وان فيه من الهداية ما يناسب كل عصر، وان المسلمين أخذوا من هدايته المدنية في كل عصر بقدر استعدادهم وأحوالهم الاجتماعية، ولولا ما سنشيره اليه من الصدمات التاريخية لبلغوا به الكمال لمديني كما بلغوا الكمال الديني — يؤيد فهمنا هذا ما نقله الاستاذ صاحب المحاضرة

المنار : ج ٤ م ٢٤ شرح محمد عبده لرد الافغان على رينان ٣١٥

من رد رينان على السيد جمال الدين قبل خاتمتها وهو قوله :
« ويلوح لي أن الشيخ جمال الدين قد زودني بطائفة من الآراء الهامة (١)
تعينني على نظريتي الأساسية وهي أن الاسلام في النصف الاول من وجوده لم
يجل دون استقرار الحركة العلمية في الاراضي الاسلامية . ولكن في النصف
الثاني خنق الحركة العلمية وهي في حظيرته فكان هذا من سوء حظه » أه
أضف الى هذا إطناب السيد في تفنيد رأي رينان في العرب — واستنتج
منهما أنه يعني بالنصف الاول عصر الدول العربية المحضة قبل تغلب الاعاجم على
خلفاء العرب من ترك وفرنس — وبهذا تعلم أن السيد قد هدم محاضرة رينان
ونسفها نسفا برقة ولطف ، كالماء تخلل أساس بناء بني على شفا جرف هار فانهار به ،
وان كل ما وافقه عليه هو أن المسلمين قد وجد منهم كغيرهم في نشأة الاسلام
الاعجمية في النصف الثاني من حياته ما خنق الحركة العلمية ، فكل ما أسنده الى
الاسلام موافقا لرينان يراد به الاسلام الاعجمي المشوه بالبدع ، لا الاسلام العربي
المنصوص في القرآن والسنن ، والا كان كلامه متناقضا ، ولا وجه لدفع التناقض
الذي يصاب عنه كلام العقلاء الا ما ذكرنا

شرح الشيخ محمد عبده لرد الافغاني على رينان

إنني أستطيع أن أشرح لك أيها القارىء هذا الحكم ولكنك غني عن
شرحي بشرح أكبر تلاميذ السيد جمال الدين ومريديه وأعلم الناس بأرائه
والمطلع على رده على رينان بنصه ، فهو قد شرح هذا الرد بكتاب حافل ، تمزبن
به الخزائن والمحافل ، الا وهو (كتاب الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية)
أورد في هذا الكتاب بضعة من أصول الاسلام هي نصوص جليلة وبراهين
قطعية ، على كونه دين العلم والعقل والمدنية ، ثم ذكر خلاصة تاريخية لمؤرخي الاسلام
والافرنج عن الدول العربية ، تثبت ان تلك المدنية الزاهرة وانتشار العلم والفلسفة
(١) — المنار : الصواب المهمة فان المهم ما يهتم به الانسان والهام المذنب ،
ومن سجع الاساس : أهمه حتى همه

٣١٦ ضعف الاسلام العربي بانقلابه عجميا المنار: ج ٤ م ٤٤

كان نتيجة تلك الاصول الاسلامية واستعداد الامة العربية . ومما نقله من كلام غوستاف لو بون الفيلسوف المؤرخ الفرنسي فيه : إن العرب أول من علم العالم كيف تتفق حرية الفكر مع استقامة الدين وبعد أن شرح نتائج تلك الاصول فتح باباً آخر للكلام عنوانه (الاسلام اليوم او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام) وصف فيه سوء حال المسلمين علمائهم ودهائمهم — وذكر أنه هو الذي حمل رينان على الطعن في الاسلام واتخذة حجة له — وقد أورد ذلك بصيغة السؤال ثم أجاب عنه بعد أن سماه « جمود المسلمين » جواباً بين به أسبابه والمخرج منه ومما قاله في أوائل هذا الجواب والعنوان لنا:

ضعف الاسلام العربي بتغلب الاعاجم

« أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سبباً فيما صار اليه اهله : كان الاسلام ديناً عربياً، ثم لحقه العلم فصار علماً عربياً، بعد ان كان يونانياً، ثم أخطأ خليفة في السياسة فاتخذ من سعة الاسلام سبيلاً الى ما كان يظنه خيراً له : ظن أن الجيش العربي قد يكون عوناً للخليفة علوي لان العلويين كانوا ألصق بيوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد أن يتخذ له جيشاً أجنبياً من الترك والديلم وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستعبد بها بساطتانه . و يصطنعها باحسانه . فلا تساعد الخارج عليه، ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سعة أحكام الاسلام وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجمياً خليفة عباسي أراد أن يصنع لنفسه وخلفه ، وبئس ما صنع بأمتة ودينه، اكثر من ذلك الجند الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه، فلم تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء واستبدوا بالسلطان دونهم، وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه الاسلام والقلب الذي هدبه الدين، بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم، ولم ينفذ منه شيء الى وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل إلهامه معه

المنار : ج ٤ م ٢٤ ما أفسد الاعاجم من الاسلام ٣١٧

يعبده في خلوته، ويصلي مع الجماعات لتمكين سلطته، ثم عدا على الاسلام آخرون كالتار وغيرهم ومنهم من تولى أمره

«أي عدو لهؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم: ويكشف لهم قبح سيرهم؟ فالوا على العلم وصديقه الاسلام ميّلتهم أما العلم فلم يحفلوا بأهله، وقبضوا عنه يد المعونة، وحملوا كثيرا من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتسربلوا بسرابيله، ليهدوا من قبيله. ثم يضعوا للعامة في الدين ما يبعث اليهم العلم ويبعد بهم عن طلبه. ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين: زعموا الدين ناقصا ليكلوه، أو مريضا ليعلاوه، أو متداعيا ليدعموه، أو يكاد أن ينقض ليقيموه»

«نظروا الى ما كانوا عليه من فخفخة الوثنية. وفي عادات من كان حولهم من الامم النصرانية، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو براء منه. لسكنهم نجحوا في اقناع العامة بأن في ذلك تعظيم شعائره، وتمجيم أوامره والنوغاء عون الغاشم، وهم يد الظالم، فخلقوا لنا هذه الاحتفالات، وتلك الاجتماعات، وسنوا لنا من عبادة الاولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة. وأركس الناس في الضلالة، وقرروا أن المتأخر، ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم، وجعلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد العقول. ثم بشوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والابخار والآراء ما يقنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة. وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم، ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض لما لا يعنيه، وأن ما يظهر من فساد الاعمال واختلال الاحوال ليس من صنع الحكام وانما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من احوال آخر الزمان وأنه لا حيلة في اصلاح حال ولا مآل، وأن الاسلام تفويض ذلك الى الله وما على المسلم الا أن يقتصر على خاصة نفسه. ووجدوا في ظواهر الالفاظ لبعض الاحاديث ما يبعينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزهرهم في بث هذه الاوهام. وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتعاون ولاية الشر على مساعدتهم في جميع الاطراف

٣١٨ رسائل الطعن في الوهابية وأسبابه المنار: ج ٤ م ٤٤

وأتخذوا من عقيدة القدر مشبطا للعزائم وغلا الأيدي عن العمل . والعامل الأقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور إذا اجتمعت أهلكت . فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويباينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة — سياسة الظلمة وأهل الأثرة — هي التي روجت ما دخل على الدين مما لا يعرفه وسابت من المسلم أملا كان يخترق به أطباق السموات، وأخذت به إلى يأس يجاور به العجماوات. فجل ما أراه الآن مما نسميه اسلاما فهو ليس باسلام وإنما حفظ من أعمال الاسلام صورة الصلاة والصوم والحج ومن الأقوال قليلا منها حرقت عن معانيها. ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات إلى الجمود الذي ذكرته وعدوه دينا . نعوذ بالله منهم ومما يفترون على الله ودينه . فكل ما يعاب الآن على المسلمين ليس من الاسلام وإنما هو شيء آخر سموه اسلاما والقرآن شاهد صادق (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) يشهد بأنهم كاذبون وأنهم عنه لاهون وعماء جاء به معرضون . وسنوفي لك الكلام في مفساد هذا الجود وثبت أنه علة لا بد أن تزول اه المراد منه هنا (للكلام بقية)

رسائل الطعن في الوهابية

كان السلطان عبد الحميد يخاف عاقبة نهضة العرب الدينية في نجد إذ كان يمتدح هو وبعض أركان دولته أن العرب لا تجتمع لهم كلمة ولا تقوم لهم دولة إلا بدعوة دينية كما قرره حكيمهم ابن خلدون في مقدمته — فكان يفري بعض أمرائهم ببعض كاغراء آل رشيد بآل سعود ، وكان المنافقون من المعممين يتقربون إلى حكومته بالطعن في الوهابية ويزعمون أنهم يخدمون بذلك الدين وينصرون السنة ، ولكننا لم نر أحدا من هؤلاء المنافقين نصر

النار : ج ٤ م ٢٤ رسائل الطعن في الوهابية وأسبابه ٣١٩

لدين بالرد على الملاحدة ولا على دعاة النصرانية الذين يطعنون في أصل لاسلام وكتابه ورسوله لتنصير المسلمين ، وكان بمض حشوية الشام المتملقين أشد الناس اسرافا في الطعن في الوهابية فلا يكادون يذكرون في كل البلاد العثمانية بقدر ما يذكرون في دمشق وحدها .

وقد خفت هذه الوطأة في السنين الاخيرة ثم اشتدت بعد استقرت اماره عبد الله بن الملك حسين في شرق الاردن وشاع أن الوهابية سينزحون للاستيلاء على هذه المنطقة لانزاعها من السلطنة الحجازية البريطانية ، وكان بمض الجرائد المسيحية في دمشق والقدس أول ميادين هذه الحملة . فاصحابها النصارى يطعنون في الوهابية ويفضلون امراء الحجاز على امراء نجد من طريق السياسة بل ذكرت جريدة (لسان العرب) التي تأخذ راتباً شهرياً من الامير عبدالله ومنحتها جريدة القبلة الحجازية لقب « لسان أقوامنا » أنه يجب على النصارى في سورية وفلسطين تأييد الملك حسين وأولاده لان حكومتهم مدنية لا اسلامية بخلاف حكومة نجد فانها اسلامية دينية متمسبة - وقد فتحو أبواب صحفهم لكل من يطعن في الوهابية من المسلمين طعنا دينياً بحتاً لاجل هذه الغاية السياسية

وفي هذه الاثناء جاءتنا عدة رسائل من دمشق ورسالة من بيروت في الطعن في الوهابية كتب على ظهر بعضها أنها « توزع مجاناً وقفاً لله تعالى » وعلى البعض الآخر « توزع مجاناً في محبة رسول الله صلى الله عليه » وغير معهود من اصحابها هذا السخاء في نشر العلم والدين ؟ ؟

لم يرسل الينا هذه الرسائل مؤلفوها . بل أرسلها بمض أهل العلم والدين لئلا يرد عليها . وقد تصفحنا أوراقاً من كل منها من أولها وآخرها فلم نر شيئاً منها يستحق أن يكرم بالرد . لانهم يقولون زوراً ويخلقون أفكاراً ويردون عليها كما يردون بمض الحق بمحض الجهل وتقليد العوام ومجاراتهم وجعل البدع الفاشية فيهم سنناً مجماً عليها . بل ذكروا في رسائلهم من الاحاديث الموضوعة والآثار المصنوعة والكذب على السلف الصالح والائمة ما يمد معه الكذب على الشيخ محمد عبد الوهاب وأهل نجد أمراً هيناً فان كذباً عليه (ص) ليس ككذب على غيره فمن كذب عليه متممداً فليتبوا مقعده من النار ، كما تواتر عنه عليه صلوات الله وسلامه . على أن بعض علماء دمشق الاثريين قد ردوا

عليهم برسائل فضحوا بها ما مستروا ولتقوا ما لتقوا
فن هذه الرسائل ثلاث لرجل في دمشق يدعى الشيخ عبد القادر الكيلاني
الاسكندراني لقيته في دمشق غير مرة فاومني أنه يكره الحشو والبدع ويحب
الاصلاح . وما كنت اظن فيه أن يكتب امثال هذه الرسائل ولكنها هي أدل
على حقيقة حاله مما تراءى لي منه

(ومنها) رسالة لرجل عامي لاندري أهو من طائفة المعممين أم من غيرهم
اسمه محمد توفيق السويقة - وقد كتب عليها انها الرسالة الاولى
(ومنها) رسالة للشيخ محمد جميل الشطي الحنبلي سماها (الوسيط بين الافراط
والتفريط) نصب فيها نفسه حكما بين الوهابية وغلاة خصوصهم وكنا نظن أنه
يحكم عن علم ، ويلتزم الحق فلا يجور في الحكم ، فاذا هو خصم أي خصم ، نقل
عنهم ما ليس عندهم ، ولبس الحق بالباطل ، ولم يميز بين الاوخر والاوائل ، بل
جعل الخلف الطالح ، كالسلف الصالح ، وايدم في بعض المواضع من حيث
لا يدري بل في سياق الرد عليهم ، واعتمد في هذا الرد على كلام اعدائهم ومقلدة اعدائهم
رد على هذه الرسائل الشيخ ناصر الدين الحجازي الاثري والشيخ أبو
اليسار الدمشقي ، فأتيا بما يكفي دافعا لمفترياتها ، ومزيلا لشبهاتها ، وإن لم
يستقصيا جميع ضلالاتها ، وردهما عليها رد على رسالة الشيخ مصباح شبقلو البيروتي .
فان كل الذين يردون على الوهابية يستمدون الافتراء عليهم من مصدر واحد
كما أن مصدر مادتهم المادية والدينية واحدهم والتقليد لتأخري مقلدة الحشوية
وبدعهم ، فلا تحري في النقل ، ولا استقلال في الفهم ، ولا رسوخ في شيء
من العلم ، وأنى والعلم الذي فرضه الله على كل مسلم محرّم عندهم ، لانه يدخل
في مفهوم الاجتهاد الذي أقلل بابه بعض شيوخ مشايخهم ، وشرعوا للناس
تقليد المجتهدين بدلا منه ، ثم شرع آخرون لهم تقليد المقلدين ، وجميع من
ينسب الى مذاهبهم من الميتين ، الى خمس طبقات مرتبة في خمس دركات على أنهم
يستدلون فيجتهدون لتأييد التقليد ، لان الاجتهاد المحرم عندهم ما يطلب به الحق
لذاته ، ولذلك يحتجون بالاحاديث الموضوعية أو المفتراة حديثا لان مشايخهم
ذكروها ، ولا يعلم الفريقان أن المحدثين أنكروها أو لم يتبثوها ، والتمييز بين
الاحاديث الصحيحة والباطلة من شروط العلم المحرم عندهم . وان لنا كلمة فاصلة
فيهم وفي بيان عقائد الوهابية سيرونها في جزء آخر